عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

دور التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر في إيجاد نموذج الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال.

مروة يحيى شعبان حمّاد

رسالة ماجستير

القدس– فلسطين

1440 هـ/2019 م

دور التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر في إيجاد نموذج الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال.

إعداد الطّالبة:

مروة يحيى شعبان حمّاد

بكالوريوس لغة إنجليزية وآدابها-جامعة البلقاء التطبيقية –الأردن

بإشراف الأستاذ الدّكتور مشهور عبد الرحمن الحبّازي

قُدّمت هذه الدّراسة استكمالًا لمتطلّبات درجة الماجستير في الدّراسات الإسلاميّة المعاصرة من كليّة الآداب– كلية الدراسات العليا/ جامعة القدس

1440 هـ/2019 م

جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج الدارسات الاسلامية المعاصرة

إجازة الرسالة

دور التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر في إيجاد نموذج الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال.

اسم الطالبة: مروة يحيى شعبان حمّاد

الرقم الجامعي: 21612686

المشرف: الاستاذ الدكتور مشهور الحبازي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ (2019/5/19) من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1- رئيس لجنة المناقشة: أ.د. مشهور الحبازي التوقيع:.....

2- ممتحناً داخلياً: د. غسان سرحان التوقيع:.....

3- ممتحناً خارجياً: د. ناصر السّعافين التوقيع:.....

القدس- فلسطين

1440 هـ- 2019م

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى كلّ من ساندني ودعمني خلال سنوات دراستي ولو بدعوة، إلى كل من تمنّى لي الخير والسّداد من قلبه، وأخص منهم:

إلى الغاليين أبي وأمي، اللذين كانا سببًا رئيسًا في توجّهي إلى العلم الشّرعيّ منذ الطّفولة، من بعد فضل الله عليّ ومنّته ، إلى مَنْ لا تنقطع ثقتهم بي، ومَنْ لا يخيب ظنّهم بي مهما فشلت.

إلى العزيز الحبيب، زوجي ؛ شعبان حمّاد، الذي ساندني في إتمام هذه الرّسالة معنويًّا وماديًّا، في الوقت الذي كان فيه بأمسّ الحاجة إلى المؤازرة والدّعم، أهديه هذه الرّسالة، والتي ستكون بإذن الله باكورة انطلاقتنا على درب العلم.

إلى الرائعين، طفلاي، وقطعتي روحي، يحيى ومحمّد، من ألهماني كتابة هذه الرّسالة، وشجّعاني من دون أن يشعرا على المواصلة في ذات الطّريق بشجاعة، إذ كانا يصادقان على أفكاري بشكل عمليّ يوميًّا.

وجعلنا الله وإيّاكم من العاملين بقوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾

الباحثة

مروة يحيى شعبان حمّاد

إقــرار:

أقر أنا المعدّة لهذه الرسالة بأنها قدمت إلى جامعة القدس لنيل درجة الماجستر، وأنها كانت نتيجة أبحاثي الخاصة، بأستثناء ما أشير إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أي درجة عليها لأي جامعة أو معهد.

الإسم: مروة يحيى شعبان حمّاد

التّوقيع: مروة حمّاد

التاريخ: 19 /2019/5

شكر وعرفان

الشّكر أوّلًا وأخيرًا لله، تعالى، فهو الملهم، والموفّق ، والمسدِّد، ومَنْ لا يضيع لديه أجر مجتهد. ومن ثمّ فالشّكر موصول إلى أساتذتي في جامعة القدس جميعًا، وأخصّ منهم، الأستاذ الدّكتور مشهور الحبّازي، الذي أتاح لي عرض أفكاري بحريّة تامّة، فاستقطعت من وقته وجهده لإنجاز هذه الرّسالة، فشكرًا له. وأسأل الله تعالى أن يجزيه خير ما جزى مُعلّمًا عن تلميذه.

الباحثة

مروة يحيى شعبان حمّاد

الملخّص:

يتناول البحث قضيّة تربويّة ومهارة تعدّ من أهمّ المهارات الّتي يفتقدها جيلنا اليوم، نظرًا للحركة السريعة التي تطغى على عصرنا، وتتمثّل تلك القضيّة في : تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال عن طريق تزويدهم بمهارات: التأمّل، والتّفكّر، والتّدبّر.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع ودراستة أهميّته التي تنبع من : ما لمهارات التّأمّل، والتّفكّر، والتّدبّر من أهميّة في جانب تزكية النّفس، وتعزيز الإيمان بالله، تعالى، ولما أولاه الإسلام لتربية الأبناء من عنايةٍ عظيمةٍ، والأمل في أن تقدّم هذه الدّراسة فرضيّةً جديدةً في التّربية الإسلاميّة، وأنّ أحدًا من الباحثين – فيما أعلم– لم يتناول موضوعها بدراسة مستقلّة، وأنها تقدّم فرضية جديدة في التّربية الإسلاميّة، تأمل الباحثة أن تلقى قبولًا من علماء التّربية المسلمين، فيعمدوا إلى الاهتمام بها، وتطويرها، ومحاولة تطبيقها عمليًا.

وقد استخدمت الباحثة في هذا البحث المنهج التكامليّ ؛ فاستخدمت المنهج الاستقصائيّ في التّمهيد لتعريف مفردات البحث، والمنهج الوصفيّ و التّحليليّ في الفصل الأولّ والثّاني والثّالث لاستخراج أثر التأمّل والتّفكّر والتّدبّر على عقيدة الفرد، وفكره، وسلوكه، والنّظر في الآيات القرآنيّة، والأحاديث النّبويّة، والآثار المرويّة، للتّوصّل إلى الأساليب العمليّة لتدريب الطّفل على مهارات التأمّل والتّفكّر والتّدبّر ، وتفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لديه.

وقد توصّل البحث إلى عدّة نتائج، أهمّها: أنّ نظام الإصلاح الذاتيّ لدى الأطفال ليس نظامًا خياليًّا، ويمكن تفعيله بتدريب الطّفل على مهارات :التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر.

The Role Each of Reflection, Meditation, and Consideration in Activating System of Self-reform in Children.

By: Marwa Yahya Shaban Hammad.

Prof: Mashhour Al-Habbazi.

Abstract:

The research tackles an educational and skillful issue that is one of the most important skills that our generation lacks today, due to the rapid movement that prevails. The issue is: activating the system of self-reform in children by providing them with the skills of reflection, meditation and consideration.

This has led the resercher to choose this topic and study its importance which stems from: What the skills of reflection, Meditation and consideration of the importance on the side of self-reform, and the promotion of faith in Allah, the Almighty, and what Islam gave children upbringing of children of great care, and hope that this study presents a new theory in Islamic upbringing of children.

The significance of this study stems from: that none of the researchers, as far as I know, deal with this subject in a separate study, and that it presents a new theory in Islamic upbringing of children. The researcher hopes to receive acceptance from Muslim scholars and interested in, developing it, and trying to apply it practically.

In research I used integrative approach: I used the investigative approach in the preface to define terms of rssearch, the descriptive and analytical approachs in the first, second and third chapters to extract the effect of reflection, meditation and consideration on the individual's faith, intellectual, and behavioral contexts, and to consider Quranic verses, Hadiths, and narrations to find practical methods to provide the child with the skills of reflection, meditation and consideration, and the activation of the system of self-reform.

The research finded several conclusions, the most important of which is: that the children's self-reform system is not an imaginary system, but it can be activated by providing the child with the skills of meditation, reflection and reflection.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلاةً وسلامًا على سيّدنا محمّد الصّادق الأمين ، وعلى آله الأطهار الطّيّبين، وعلى أصحابه الغُرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين ، أمّا بعد:

فيتناول البحث قضيّة تربويّة لم يلتفت كثير من المربّين إلى أهمّيتها في حدود علم الباحثة، وهي واحدةٌ من المهارات المهمّة الّتي يفتقدها جيلنا اليوم ، نظرًا للحركة السريعة التي تطغى على كلّ مفردات العصر، وانتحاءَ الحياة منحىً حضاريًّا مدنيًّا بعيدًا عن الطبيعة ومفرداتها، وتتمثّل تلك القضيّة في : تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال عن طريق تزويدهم بمهارات: التّفكّر، والتّأمّل، والتّدبّر.

بالإضافة لما تقدّم، فإن هذه الدّراسة تقدّم فرضيّةً جديدةً في التّربية الإسلاميّة، فرأيت فيما سبق من أسبابٍ كافيةٍ دافعًا ملحًّا لدراسة هذا الموضوع متوكّلة على الله ، وسائلةً المولى، عزّ وجلّ، أن يوفقنا لما يحبُّ ويرضى.

وقد جاء هذا البحث في مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة ، ففي التّمهيد درستُ الفرق بين التأمل والتفكّر والتدبر، على المستوى اللّغوي، ثمّ على المستوى القرآنيّ، ثمّ على المستوى النّبويّ، ثم عرّفت بعض مفردات البحث.

وفي الفصل الأوّل "أهمية التأمّل والتّفكّر والتّدبّر "، تمت دراسة أهمية التأمّل والتّفكّر والتّدبّر ، على المستوى العقائديّ، والفكريّ والسّلوكيّ.

وفي الفصل الثّاني " وسائل غرس قيم التفكّر والتّأمّل والتدبّر في الطّفل"، تم بيان فيه طرق ترسيم العلاقات بين الطّفل والطّبيعة، ثم شرحتُ الوسائل الماديّة والمعنويّة، التي يجدر بالمربّي اتباعها لمساعدة الطّفل على اكتساب مهارات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر.

وفي الفصل الثّالث " تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال بعد تزويدهم بمهارات التّفكّر والتّأمّل والتّدبّر"، فاستعرضتُ فيه مهارات: النّقد الذّاتيّ، والتّحفيز الذّاتيّ، والعقاب الذّاتيّ، والتّقييم الذّاتيّ، والتّنبّؤ الذّاتيّ، والتّرقية الذّاتيّة.

وفي الخاتمة، وضعتُ أهمّ النتائج والتّوصيات، ثمّ وضعتُ فهرسًا للمصادر والمراجع، وفهرسًا للمحتويات.

أما بخصوص الدّراسات السّابقة ، فقد وجدتُ دراساتٍ عديدة تناولت طرق تزويد الأطفال بمهارات حلّ المشكلات، دون التّطرّق إلى مهارات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر كعامل أساسيّ في هذا السياق، أو تحدّثت عن التّفكير التّأمّلي دون ربطه بتعديل سلوك الطّفل ، ومن تلك الدّراسات:

1- دراسة بعنوان :" وحدة مقترحة قائمة على التّفكير التّأمليّ لتنمية بعض المفاهيم الفلسفيّة لدى أطفال الرّوضة "، إعداد نيفين أحمد خليل علي، نشرت في مجلّة كلّية التّربية بجامعة بور سعيد، العدد 22، شهر يونيو من العام 2017م، وتناولت الدّراسة تنمية بعض المفاهيم الفلسفيّة لدى أطفال الرّوضة، باستخدام أسلوب التّفكير التّأمّلي، وقد أفادتني هذه الدّرسة في أنها تؤكد على أهميّة التّفكير التّأملي على المستوى الفكري، وكدافع للتعلّم ، ولكن هذه الدّراسة تخصّص التّفكير التّأمليّ ضمن بيئة صفّ الرّوضة

تحت إشراف المعلّمة، في حين أن دراستنا هذه، تطرح التأمّل، والتّفكّر، والتّدبّر كطريقة ومنهج للتّربية مدعّم بالأساليب العمليّة، والّتي تكون تحت إشراف الوالدين، بطرق ممتعة، وغير محدّدة بزمان أو مكان.

2- دراسة بعنوان " فاعليّة طريقة حلّ المشكلات في إكساب أطفال الرّوضة بعض مهارات التّفكير دراسة شبه تجريبيّة في مدينة دمشق على أطفال الرّوضة من عمر(5-6) سنوات". إعداد سلوى مرتضى و رزان عويس، نشرت في مجلة " اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس" ، العدد الثالث، عام 2011م، وتناولت الدّراسة تدريب الطفل وإعداده على كيفية مواجهة مشكلات الحياة اليومية بطريقة إيجابية، يمارس فيها مهارات الّتفكير للوصول إلى الحلول والحقائق بنفسه، وأفادتني في أنها تسلّط الضوء على مهارات التفكير كطريق لحل المشكلات في سنّ مبكّرة جدًّا ، وهو ما يدعم نظريتي في قدرة الطفل على اكتساب بعض المهارات الفكرية، مع اختلاف في المهارات المطروحة عما سنستعرضه في هذه الدّراسة.

3- دراسة بعنوان "فاعلية حقيبة تعليميّة في تنمية مهارات حلّ المشكلات لدى أطفال الرّوضة"، إعداد صفاء أحمد محمد محمد، نُشرت في مجلّة " دراسات عربيّة في التّربية وعلم النّفس (ASEP)"، المجلّد الثّالث، العدد الرّابع، بتاريخ2009/10م، وتناولت الدّراسة تصميم حقيبة تعليميّة لتنمية مهارات حلّ المشكلات لطفل الرّوضة ، والتّعرّف على المهارات الأساسيّة لحلّ المشكلات. وقد أفادتني هذه الدّراسة في أنّها تؤكّد على أنّ أطفال الرّوضة قادرين على حلّ المشكلات ، وأنّهم يملكون ذخيرة من الطّرق لحلّها ، وينقصهم فقط التّدريب على الأنشطة المعرفيّة، والتي تعزّز قدرتهم على الحلّ.

وتختلف دراستي عن سابقاتها في أنها تؤصّل تأصيلًا شرعيًّا لطريقة استخدام التّفكير التّأمّليّ كطريقة لحلّ المشكلات ابتداءً، ثم تتطوّر وصولًا لتفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال.

وقد استخدمتُ في بحثي هذا المنهج التكامليّ[1]، فأفدت من المنهج الإستقصائيّ في التّمهيد لتعريف مفردات البحث، والمنهج الوصفيّ و التّحليليّ في الفصل الأولّ والثّاني والثّالث لاستخراج أثر التأمّل والتّفكّر والتّدبّر على عقيدة الفرد، وفكره، وسلوكه، والنّظر في الآيات القرآنيّة، والأحاديث النّبويّة، والآثار المرويّة، للتّوصّل إلى الأساليب العمليّة لتزويد الطّفل بمهارات التأمّل والتّفكّر والتّدبّر ، وتفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لديه.

واعتمد بحثي على عدّة مصادر ومراجع بعد القرآن الكريم، وكتب الأحاديث النّبويّة الشّريفة، وأهمّ تلك المراجع:

1- كتاب "أنباء نجباء الأبناء"، تأليف محمد بن أبي محمد بن ظفر المكي الصّقلي. حيث جمع فيه قصص الأطفال الأذكياء، وقد أفادني في دعم أفكاري ببعض الرّوايات التّاريخيّة .

2- وكتاب "موسوعة القيم "، تأليف محمد مرسي، وقد بحث في الأساليب العملية في تزويد الأطفال ببعض القيم، وقد أفادني في اقتباس بعض الأساليب العملية لتزويد الأطفال بمهارات التفكّر والتّأمّل والتّدبّر.

وأسأل الله العلي العظيم، ربّ العرش العظيم، أن ينال هذا البحث قبولًا في صدور القرّاء في الدّنيا، وقبولًا في الصّالحات في الآخرة، وأن تعمّ به الفائدة للبشريّة بعامّة، والمسلمين منهم بخاصّة، اللهمّ آمين.

مروة شعبان حماد

2019/4/28م

(1) المنهج التكامليّ : "استخدام أكثر من منهج في البحث بحيث تتكامل ما بينها في وضع وتطبيق مستلزمات البحث"، عبد الهادي فضلي، أصول البحث، ص61.

التّمهيد : تفسير التّأمّل والتفكّر والتدبّر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : التّفسير اللّغوي لكل من؛ التّأمّل والتّفكّر والتدبّر.

المطلب الثاني : التّفسير القرآني لكل من؛ التّأمّل والتّفكّر والتدبّر.

المطلب الثالث : التّأمّل والتّفكّر والتدبّر في السنّة النّبويّة .

المطلب الثّالث: تعريفات أخرى .

المطلب الأول : التّفسير اللّغوي

أولًا: التّأمّل

التّأمّل مأخوذٌ لغةً من الجذر (أَمَلَ)، أي نَظَرَ مُتثبّتًا، والتّأمّل : "التّثبُّت . وتأمّلتُ الشّيء أي نظرتُ إليه مُستثبتًا له"[1]. وتأمَّلَ : تَلَبَّثَ في الأَمْرِ والنَّظَر[2]. فالتّأمّلُ إذًا: مُداومة النّظر للشّيء استقصاءً لحقيقته، ويمكن اختصاره : االتَّثَبُّتُ في النَّظَرِ.

ثانياً: التّفكّر

والتّفكّر مأخوذٌ لغةً من الجذر (فَكَرَ) ، ويُراد به كما يرى الجرجانيّ : "تصرّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، وقيل هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء، وقيل التّفكّر: تصفية القلب بموارد الفوائد"[3]، وفيه أيضا كما ورد في الوسيط: "(افتكر) تذكّر في الأمر وأعمل عقله فيه (تفكّر) في الأمر افتكر"[4].

---

(1) انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، 11/مادة أمل.

(2) انظر: مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، 28/مادة أمل.

(3) الجرجاني ، التعريفات ، 63/1.

(4) إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط ، 698/2.

ثالثاً: التّدبّر

التدبّر لغةً: مشتقٌّ من الجذر (دَبَرَ) ، ويُراد به: إعمال العقل في الأمر نظرًا في عواقبه ومنتهاه كما جاء في الوسيط: "(تدبّر) الأمر وفيه دَبَره، ويُقال: عرف الأمر تدبّرًا بآخره"[1].

وقد عرّف ابن عاشور التدّبّر فقال: "إعمال النّظر العقليّ في دلالات الدلائل على ما نصبت له . وأصله أنّه من النّظر في دُبُر الأمر ، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء"[2].

أمّا الفرق بينها: فيأتي من الحاجة إلى الحواسّ؛ فالتّأمّل أداته الرّئيسة –غالبًا– حاسّة البصر ، ويكون بتكرار النّظر إلى الشّيء ، فالنّظرة وحدها لا تُسمى تأمّلًا، بل تكرار النّظر في الشّيء للوصول إلى غاية التّأمّل. أمّا التّدبّر فلا يحتاج إلى حاسّة البصر مُطلقًا، لأنّه عملٌ ذهنيٌّ بحت، يبحث في القضيّة وعواقبها نظريًا، وهذا يعني: إعمال العقل في الشّيء وتقليبه على كلّ الاحتمالات بحثًا ووصولًا إلى حقيقته وعاقبته، أمّا التفكّر فيحتمل الحالتين .

ويُلاحَظ أنّ بعض العلماء اعتبر التّفكّر، والتّدبّر، والتّأمّل ألفاظًا مترادفةً ، مثل الإمام الغزالي، رحمه الله ، قال : "أما التّدبّر والتّأمّل والتّفكّر فعباراتٌ مترادفةٌ على معنىً واحدٍ ليس تحتها معانٍ مختلفة"[3].

---

(1) المعجم الوسيط ، 269/1.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 385/9.

(3) الغزالي ، إحياء علوم الدين، 426/4.

وقد عرّفها تعريفًا جميلًا فقال : "اعلم أنّ معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفةً ثالثة "[1]. ونلاحظ أنّ الغزاليّ هنا ولج إلى داخل عقل الإنسان، وحلّل كيفيّة عمله، فلخّص تلك الآليّة في أنّها تجميع معرفتين وربطهما تمهيدًا لميلاد الفكرة الأعظم، والتي تُحقّق المعرفة، وليس العلم. فالمعرفة تختلف عن العلم، يقول أبوهلال العسكري: " المعرفة أخصّ من العلم، لأنّها علم بعين الشّيء مفصّلًا عما سواه، والعلم يكون مجملًا ومفصّلًا" [2].

ولتسهيل فهم مقصود قول الغزّالي ، لنتأمّل هذا المثال البسيط :

معرفة رقم (1) : الصّانع لابدّ له من إحكام الهيمنة، والسيطرة على مصنوعاته. ولا يقبل تدخّل غيره في صنعه.

معرفة رقم (2) : الكون يسير باتساقٍ محكم، وفق سُننٍ وقوانينَ محسوسة تحكمه وتضبطه، من دون تنافرٍ أو تعارض.

معرفة1 + معرفة2 = خالق الكون واحد أحد ، ولو كان له شركاء ، لتنازع الصُنّاع ، وذهب كلّ صانع بمصنوعاته.قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[3].

---

(1) الغزالي ، إحياء علوم الدين، 425/4.

(2) العسكري، الفروق في اللغة، ص72.

(3) المؤمنون، 91/23.

وترى الباحثة من خلال دراسة المعاني لغويًّا أن معاني هذه المفردات الثلاثة ، يختلف تراتبيًّا، ولكنها جميعا تصبّ في بوتقة الفكر وتصفه، بخلاف ما ذهب إليه الغزالي على أنها تحمل نفس المعنى.

فالتأمل: هو بمثابة أداةٍ لاقطة، تلتقط كلّ ما يستحقُّ الذّهاب به لما وراء النظر. فقد تنظر إلى الأفق نظرةً عابرة، وقد تنظر إليه مُتأمِّلًا ، إلّا أن تطوّر عمليّة التّفكير لن يكون بالنّظرة العابرة فقط ، إنّما بتلك النّظرة المتكرّرة المستطلعة الباحثة عن شيءٍ خفيّ يخبّئه هذا الأفق .

أمّا التّفكّر : فهو إعمال العقل في المُشاهَد، او المَحسوس، أو المسموع ، وتكرار النّظر فيه تحليلًا، وتمحيصًا، وهو المرتبة الثّانية في التّفكير. فالأمر في حالة الأفق لم يعد متوقّفا على كونه صورةً جميلةً تستحقّ البحث فيما وراءها ، بل تعدّاها إلى التّفكر في امتداده وتداخل ألوانه ، وبديع صنعه ،وأن وراءه خالقًا عظيمًا.

أما التدبّر ، فيمثّل حالة العقل، وهو يُشكّل مُخرجات تفكيره في مرحلتي التّأمّل والتّفكر، فهو وعي العقل بصياغة النتيجة وإخراجها، واكتساب معلومة جديدة، ترتقي لتكون معرفةً أكثر منها مجرّد معلومة؛ لأنّ القلب توّصل إليها، وتثبّتها نظرًا وتمحيصًا ، فيخلص إلى النّتيجة التي هي القصد والغاية.

وفي مثالنا السابق ، يتوصّل المتأمّل الذي ترقّى ليكون متفكّرا إلى المقام الأشرف، وهو المتدبّر، فيتحصّل معرفة التّوحيد في قلبه تحقيقًا، لا علمًا مجرّدًا، فالنّاظر إلى الأفق ناظرَ مصنوعًا لصانعٍ عظيم ، وكما قال الأعرابي : " البعرة تدلُّ على البعير، والأثر يدلُّ على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فِجاج، ألا تدل على العليم الخبير؟! "[1].

(1) الجاحظ ، البيان والتبيين، 163/1.

الخلاصة:

إنّ الفرق بين التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر نستطيع تلخيصه في: أنّ التأّمل من عمل الحواسّ من بصرٍ، وسمعٍ، ولمسٍ، وتذوّقٍ، وشمّ، أمّا التّدبّر فمِن عمل القلبِ وحده، أمّا التّفكّر، فيحتاج كلا الأمرين سويّةً.

والتأمل يعمل كأداةٍ لاقطة، تلتقط كلّ ما هو ثريّ اللب، غنيّ الإشارة، أما التّفكّر فهو إعمال العقل في الإشارات والمعاني تحليلًا وتمحيصًا، أما التدبّر ، فيمثّل حالة العقل، وهو يربط كلّ هذه الإشارات والمعاني بحثًا عن الحقيقة المنشودة.

المطلب الثاني: التّفسير القرآني لكل من؛ التّأمّل والتّفكّر والتدبّر

نتطرق في هذا الجزء من البحث إلى النّظر في كتاب الله، واستقصاء المعاني الواردة في المفاهيم الثّلاثة التي هي محلُّ البحث والتّمحيص ؛ التّأمّل، والتّفكّر، والتّدبّر، وسنقوم بجمع مادة القرآن من الجذر الثلاثيّ للألفاظ الثلاثة.

نبدأ بالمادة (أ، م، ل)، فلا نجدها في القرآن الكريم بنفس اللّفظ، إنّما وردت بألفاظ مشتقة من المادة (ن، ظ، ر) ، وتفيد نفس المعنى، وقد تكرّر ورودها في اثنين وعشرين موضعًا، انقسمت دلالاتها التفصيليّة، واشتركت في كونها تحتاج إلى النّظر المتكرّر بالحواسّ. وسنقسّمها كالتالي :

أوّلًا: المادة (ن–ظ–ر) في التّأمّل في الكون ، وملكوت السماوات والأرض، وفي مخلوقات الله، تعالى، وخلقه، وجاءت في اثني عشر موضعًا، وهي :

1– سورة البقرة : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩ ﴾ [1].أي: "إن شككتَ يا عُزير فانظر إلى طعامك لم يتغيّر بمرور الزّمن، وكان معه عنب وتينٌ وعصيرٌ، فوجدها على حالها لم تفسد، ثم قال له: انظر إلى حمارك، أي كيف تفرّقت عظامه، ونخرت، وصارت هيكلًا من البلى، وفعلنا ما فعلنا لتدرك قدرة الله، سبحانه وتعالى، ولنجعلك معجزة ظاهرة تدلّ على كمال قدرتنا، ثمّ تأمّل في عظام حمارك كيف نركّب بعضها فوق بعض وأنت تنظر، ثم نكسوها لحمًا بقدرتنا، فلمّا رأى العُزير الآيات الباهرات قال:أيقنت وعلمت علم مشاهدة أن

(1) البقرة ، 259/2 .

الله على كلّ شيءٍ قدير"[1].

2- سورة الأنعام : ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾ [2] ، أي: "انظروا أيّها النّاس نظر اعتبارٍ واستبصارٍ إلى خروج هذه الثّمار، من ابتداء خروجها إلى انتهاء ظهورها ونضجها، كيف تنتقل من حالٍ إلى حال؛ في اللّون، والرّائحة، والصّغر، والكِبر... فسبحان القدير الخلّاق"[3].

3- سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾[4] ،أيّ:" فلمّا ظهر من نور الله قدر نصف أنملة الخنصر اندكّ الجبل وتفتّت، وسقط موسى، عليه السّلام، مغشيًّا عليه من هول ما رأى"[5].

4- سورة الأعراف: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾[6]. أي: " أولم ينظروا نظر استدلال في ملك الله الواسع ... والاستفهام للإنكار والتّعجّب والتوبيخ، ... فينبغي لهم أن يسارعوا إلى النّظر والتّدبّر فيما يخلّصهم عند الله، قبل

---

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 166.

(2) الأنعام ، 99/6.

(3) الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 409.

(4) الأعراف ،185/7 .

(5) الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 484.

(6) الأعراف، 143/7.

حلول الأجل، فبأيّ حديث بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به "[1].

5- سورة الحجر :﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦﴾ [2]. أي :" زيّناها بالنّجوم لُسرّ النّاظر إليها"[3].

6- سورة العنكبوت : ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾[4].أيّ: " قل لهؤلاء المنكرين للبعث: سيروا في ارجاء الارض، فانظروا كيف انّ الله العظيم القدير خلق الخلق على كثرتهم... وانظروا إلى مساكن القرون الماضية، وديارهم، وآثارهم، كيف اهلكهم الله؟! لتعلموا بذلك كمال قدرة الله"[5].

7- سورة الرّوم :﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾[6]. أيّ: " فانظر أيّها العاقل نظر تدبّرٍ واستبصارٍ إلى ما ينشأ عن آثار نعمة الله بالمطر؛ من خضرة الاشجار، وتفتّح الأزهار، وكثرة الثّمار، وكيف أنّ الله يجعل الأرض تنبت بعد أن كانت هامدة جامدة، إنّ ذلك القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو الذي يُحيي النّاس بعد

---

(1) الصّابوني، 470/1.

(2) الحجر ، 16/15.

(3) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 107.

(4) العنكبوت ، 20/29 .

(5)الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 456.

(6) الروم ، 50/30 .

موتهم"[1].

8- سورة الصافات :﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ ﴾ [2]. أي:" لمّا وبّخهم على عبادة غير الله، أراد أن يريهم أنّ أصنامهم لا تضرّ ولا تنفع، وأراد أن يخلو بها حتى يكسرها، فاحتال للبقاء وعدم الخروج معهم إلى العيد، فنظر في السّماء-على عادتهم حيث كانوا نجّامين- وأوهمهم أنّ النّجوم تدلّ على أنّه سيسقم"[3].

9-سورة ق :﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ ﴾ [4].

أي: "أفلم ينظروا نظر تفكّرٍ واعتبارٍ إلى السّماء في ارتفاعها وإحكامها، فيعلموا أنّ القادر على إيجادها قادرٌ على إعادة الإنسان بعد موته "[5].

10-سورة عبس :﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ ﴾[6]. أي: " أي فلينظر هذا الإنسان الجاحد نظر تفكّر واعتبارٍ إلى أمر حياته، كيف خلقه بقدرته، ويسّره برحمته، وكيف هيّأ له أسباب المعاش، وخلق له الطّعام الذي به قوام حياته"[7].

---

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 482.

(2) الصّافات ، 88/37.

(3) الصابوني، صفوة التفاسير، 3/ 38.

(4) ق ، 6/50 .

(5) الصابوني، صفوة التفاسير، 3/ 242.

(6) عبس ، 24/80-27.

(7) الصابوني، صفوة التفاسير، 3/ 521.

11- سورة الطارق: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ [1]. أي: " فلينظر الإنسان في أوّل نشأته نظرة تفكّرٍ واعتبار، من أيّ شيءٍ خلقه الله، تعالى؟"[2].

12- سورة الغاشية : **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ ﴾ [3]. أي: " أفلا ينظر هؤلاء النّاس نظر تفكّرٍ واعتبارٍ إلى الإبل – الجِمال- كيف خلقها الله خلقًا بديعًا عجيبًا، يدلُّ على قدرة خالقها؟!"[4] .

ثانيًا: المادة (ن، ظ، ر) في تتبّع آثار الغابرين في الأرض ، وجاءت في ثمانية مواضع ، بألفاظ متقاربة جدًا ، لذلك سأكتفي بذكر الآيات الثّمانية، وتفسير الآية الأولى:

1- آل عمران: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧ ﴾[5]. أي:" قد مضت سنّة الله في الأمم الماضية بالهلاك والاستئصال، بسبب مخالفتهم الأنبياء، فتعرّفوا آثار المكذّبين وما نزل بهم، لتتّعظوا بما ترون من آثار هلاكهم"[6].

2- سورة يوسف :﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ

---

(1) الطارق ، 5/86.

(2) الصابوني، صفوة التفاسير، 3/ 545.

(3) الغاشية ،17/88

(4) الصابوني، صفوة التفاسير، 3/ 553.

(5)آل عمران ، 137/3.

(6)الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 231.

ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ ﴾[1].

3- سورة الروم في الآيتين: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩ ﴾ [2].

4-﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾[3].

5- سورة فاطر:﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤ ﴾[4].

6- سورة غافر، في الآيتين:﴿ * أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١ ﴾[5].

---

(1) يوسف ، 109/12 .

(2) الروم، 9/30 .

(3)الروم، 50/30 .

(4) فاطر ، 44/35.

(5) غافر ،21/40 .

7- ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ ﴾[1] .

8- سورة محمد: ﴿ * أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠ ﴾ [2].

ثالثًا: المادة (ن، ظ، ر) في النظر تلقاء الله تعالى يوم القيامة، وإلى نعيم الجنّة، مع الإشارة إلى إختلاف العلماء حول رؤية ذات الله العلية أهي رؤية بصريّة أم إدراكٌ لنور جلاله ؟ وقد جاءت في موضعين في القرآن العزيز، وهما:

1- سورة القيامة : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ ﴾[3]. أيّ: " تنظر إلى ربّها، وتهيم في جماله، أعظم نعيم لأهل الجنّة رؤية المولى، عزّ وجلّ وعلا، والنّظر إلى وجهه الكريم، قال الحسن البصري: تنظر إلى الخالق، وحُقّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق ، وبذلك وردت النّصوص الصّحيحة"[4].

---

(1) غافر ، 82/40 .

(2) محمد ، 10/47 .

(3) القيامة ، 23/75.

(4) الصابوني، صفوة التفاسير، 3/ 486.

2- سورة المطففين :﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ ﴾[1]. أي: " إنّ المطيعين لله في الجنّات الوارفة، والظّلال الممتدّة يتنعّمون، هم على السُّرر المزيّنة بفاخر الثّياب والسّتور، ينظرون إلى ما أعدّ الله لهم من أنواع الكرامة والنّعيم في الجنّة"[2].

يتّضح لنا ممّا سبق ، موافقة المعنى القرآنيّ للمعنى اللغوي في باب النّظر (التّأمّل) ، إذ جاءت بما لا يتحصّل إلّا بوجود أداة البصر والإبصار وهي العين ، كذلك لم تأتِ بمعنى النّظرة الواحدة ، إنّما تكرار النّظر إلى الشّيء المراد الإعتبار منه .

أمّا مادة (ف، ك، ر) ، فقد وردت في ثمانية عشر موضعًا في القرآن الكريم ، وجاءت كلّها في سياق الدعوة للنّظر في خلق الله، وأحوال الخلق ، والغيب المراد الوصول إليه من المعنى، وهي:

1- سورة البقرة :﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ ﴾[3]. أي: "ويسألونك ماذا ينفقون وماذا يتركون من أموالهم؟ قل لهم: أنفقوا الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيّعوا أنفسكم، كما يبيّن الله لكم الأحكام يبيّن لكم المنافع والمضارّ، والحلال والحرام، لتتفكّروا في أمر الدّنيا والآخرة، فتعلموا أنّ الأولى فانية، والآخرة باقية، فتعملوا لما هو أصلح"[4].

---

(1) المطفّفين ،23/83 .

(2) الصابوني، صفوة التفاسير، 3/ 533.

(3) البقرة ، 219/2.

(4) الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 140.

2- ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦ ﴾ [1]. أي: " أيحبّ أحدكم أن تكون له حديقة غنّاء، فيها من أنواع النّخيل والأعناب والثّمار الشّيء الكثير، تمرّ الأنهار من تحت أشجارها، ينبت له فيها جميع الثّمار من كلّ زوج بهيج، فأصابته الشيخوخة، فضعف عن الكسب، وله أولاد صغار لا يقدرون على الكسب، فأصب تلك الحديقة ريح عاصفة شديدة، معها نار، فأحرقت الثّمار والأشجار، أحوج ما يكون الإنسان إليها، مثل هذا البيان الواضح، في هذا المثل الرّائع المحكم، يبيّن الله لكم آياته، في كتابه الحكيم، لكي تتفكّروا وتتدبّروا ما فيها من العبر والعظات"[2].

3- سورة آل عمران :﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ [3]. أي : " يذكرون الله بألسنتهم وقلوبهم في جميع الأحوال، في حال القيام، والقعود، والاضطجاع، فلايغفلون عنه تعالى في عامّة أحوالهم،لاطمئنان قلوبهم بذكره، واستغراق سرائرهم في مراقبته، يتدبّرون في ملكوت السّماوات والأرض، في خلقها بهذه الأجرام العظام، وما فيها من عجائب المصنوعات، وغرائب المبتدعات، قائلين: ربنا ما خلقت هذا الكون وما فيه عبثًا من غير حكمة، ننزهك يا الله عن العبث،

---

(1) البقرة ، 266/2.

(2)الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 170.

(3) آل عمران ، 191/3 .

فأجرنا وارحمنا من عذاب النّار"[1].

4- سورة الأنعام : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾[2]. أي: " قل يا محمّد لهؤلاء الكفرة، الذين يقترحون عليك تنزيل الآيات، وخوارق العادات: لست أدّعي أنّ خزائن الله مفوّضةٌ إليّ حتّى تقترحوا عليّ تنزيل الآيات، ولا أدّعي أيضًا أني أعلم الغيب حتّى تسألوني عن وقت نزول العذاب، ولست أدّعي أنّي من الملائكة حتّى تكلّفوني الصّعود إلى السّماء أو عدم المشي في الأسواق وعدم الأكل والشّرب، ما أتّبع فيما أدعوكم إليه إلا وحي الله الذي يوحيه إليّ ، فهل يتساوى الكافر والمؤمن ، والضّال والمهتدي ، تسمعون أفلا تتفكّرون، تقريعٌ وتوبيخ" [3].

5-الأعراف :﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ ﴾[4]. جاءت في ختام قصة بلعم بن باعوراء، أيّ: " اقصص على أمّتك ما أوحينا إليك لعلّهم يتدبّرون فيها ويتّعظون"[5].

---

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 252.

(2) الأنعام ، 50/6 .

(3) الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 391.

(4) الأعراف، 7/ 176.

(5) الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 482.

6- ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾[1]. أيّ: "أولم يتفكّر هؤلاء المكذّبون بآيات اللع فيعلموا أنه ليس بمحمّد، صلّى الله عليه وسلّم، جنون، بل هو رسول الله حقًّا، أرسله الله لهدايتهم، ليس محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، إلّا رسولٌ منذرٌ، أمره بيّنٌ واضحٌ لمن كان له لبٌّ، أو قلبٌ يعقل به ويعي"[2].

7-سورة يونس : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

أيّ: " صفة الحياة الدّنيا وحالها العجيبة في فنائها وزوالها، وذهاب نعيمها، واغترار النّاس بها، كمثل مطرٍ نزل من السّماء، فنبت به أنواع من النّبات مختلط بعضها ببعض، مما يأكله النّاس من؛ الحبوب، والثّمار، والبقول، والأنعام من؛ الكلأ، والتّبن، والشّعير، فإذا أخذت حسنها وبهجتها، وتزيّنت بالحبوب والثّمار والأزهار... وظنّ أصحابها أنّهم متمكّنون من الانتفاع بها، محصّلون لثمرتها وغلّتها، اءها قضاؤنا بهلاك ما عليها من النّبات، إما ليلًا أو نهارًا، فأصبحت محصودة مقطوعة، لا شيء فيها، كالذي حُصد بالمنجل، كأنّها لم تكن عامرةً قائمةٌ على ظهر الأرض قبل ذلك، ومثلما بيّنا هذا المثال الرّائع للحياة الدّنيا، نبيّن الآيات ونضرب الأمثال لقومٍ يتفكّرون فيعتبرون بهذه الأمثال"[4].

---

(1) الأعراف ، 7/ 184.

(2) الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 484.

(3) يونس ،10/ 24 .

(4) الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 581.

8- سورة الرّعد :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ ﴾[1] . ايّ: " إن في عجائب صنع الله لدلالات وعلامات باهرة على قدرته ووحدانيّته لمن تأمّل وتفكّر، وخصّ (المتفكّرون) بالذّكر لأنّ ما احتوت عليه هذه الآيات من الصّنيع العجيب لا يُدرك إلا بالتّفكّر"[2].

9- سورة النّحل :﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ ﴾[3]. أيّ: " إنّ في إنزال الماء الواحد وإخراج الثّمار، لدلالة واضحة على قدرة الله ووحدانيّته لقوم يتدبّرون في صنعه فيؤمنون، قال أبو حيّان: ختم الآية بقوله (يتفكّرون) لأنّ النظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمّل، واستعمال الفكر"[4].

10-﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ ﴾[5] .أي: " القرآن المذكّر، الموقظ للقلوب الغافلة، لتعرّف النّاس الأحكام، والحلال والحرام، لعلّهم يتفكّرون في هذا القرآن فيتّعظون"[6].

11-﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ

---

(1) الرعد ، 3/13.

(2) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 74.

(3) النحل 11/16 .

(4) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 121.

(5) النحل 44/16 .

(6) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 128.

ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩ ﴾[1]. أيّ: " ألهمها مصالحها، وأرشدها إلى بناء بيوتها المسدّسة العجيبة، تأوي إليها، في ثلاثة أمكنة؛ الجبال، والشّجر، والأكوار التي يبنيها النّاس، ثمّ كلي من كلّ الأزهار، والثّمار التّي تشتهينها، من الحلو، والمرّ، والحامض، فإنّ الله بقدرته يحيلها إلى عسل، ثمّ ادخلي الطّرق في طلب المرعى حال كونها مسخّرة لك، لا تضلّين في الذّهاب أو الإياب، فيُخرج من بطون النّحل عسلٌ متنوّع؛ منه أحمرٌ، وأبيضٌ، وأصفرٌ، فيه شفاء للنّاس من الكثير من الأمراض....إنّ في ذلك لعبرة لقوم يتفكّرون في عظيم قدرة الله، وبديع صنعه"[2].

12- سورة الرّوم :﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨ ﴾[3] . أيّ: " ألم يتفكّروا بعقولهم فيعلموا أنّ الله العظيم الجليل ما خلق السّماوات والأرض عبثًا، وإنّما خلقهما بالحكمة البالغة، لإقامة الحقّ لوقت ينتهيان إليه وهو يوم القيامة؟...وأكثر النّاس جاحدون منكرون للبعث والجزاء"[4].

13- ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ [5].

---

(1) النحل 69/16 .

(2) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 133.

(3) الروم ، 8/30 .

(4) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 133.

(5) الروم ، 21/30 .

أيّ: " من آياته الدّالة على عظمته، ببني آدم، لتميلوا إليهنّ وتألفوهنّ، وكمال قدرته، أن خلق لكم من صنفكم وجنسكم نساءً آدميّات مثلكم، ولم يجعلهنّ من جنس آخر، من جان أو حيوان، لما حصل هذا الإئتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل النّفرة، وذلك من تمام رحمته وجعل بين الأزواج محبّة وشفقة...إنّ فيما ذُكر لعبرًا عظيمةً لقوم يتفكّرون في قدرة الله وعظمته، فيدركون حكمته العليّة"[1].

14- سورة سبأ : ﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦ ﴾[2]. أيّ: " قل يا محمّد لهؤلاء المشركين: إنّما أنصحكم وأوصيكم بخصلةٍ واحدة؛ أن تتحرّوا الحقّ لوجه الله، والتّقرّب له.. اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا.. ثمّ تتفكّروا في أمر محمّد، لتعلموا أنّ من ظهر على يديه هذا الكتاب المعجز لا يمكن أن يكون به مسٌّ من الجنون"[3].

15- سورة الزّمر :﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢ ﴾[4] . أيّ: "يقبضها من الأبدان عند فناء آجالها، وهي الوفاة الكبرى، ويتوفّى الأنفس التي لم تمت في منامها وهي الوفاة الصّغرى.. فيُمسك الرّوح التي قضى على صاحبها الموت فلا يردّها إلى البدن، ويرسل الأنفس

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 133.

(2) سبأ ، 46/34.

(3) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 560.

(4) الزمر ،42/39 .

النّائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى وقت محدود هو اجل موتها الحقيقيّ .. إنّ في هذه الافعال العجيبة لعلامات واضحة قاطعة على كمال قدرة الله وعلمه، لقوم يجيلون فكارهم فيها فيعتبرون"[1].

16- سورة الجاثية : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾[2]. أيّ: " خلق لكم ما في هذا الكون، من كواكب، وجبال، وبحار، وأنهار، ونبات، وأشجار، الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه، من عنده جلّ وعلا، إنّ فيما ذُكر لعبرًا وعظات لقومٍ يتأمّلون في بدائع صنع الله، فيستدلّون على قدرته ووحدانيته ويؤمنون"[3].

17- سورة الحشر:﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ [4]. أيّ: " لو خلقنا في الجبل عقلًا وتمييزًا كما خلقنا للإنسان، وأنزلنا عليه هذا الاللقرآن بوعده ووعيده، لخشع وخضع وتشقّق، خوفًا ومهابة من الله تعالى، ومهابة له، وهذا تصوير لعظمة قدر القرآن، وقوّة تأثيره.. والمراد منه توبيخ الإنسان بأنّه لا يتخشّع عند تلاوة القرآن .. نفصّلها ونوضّحها للنّاس لعلّهم يتفكرون في آثار قدرة الله ووحدانيته فيؤمنون"[5].

18- سورة المدثر:﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ ﴾[6]. أي: " إنه فكّر في شأن النبيّ والقرآن، وأجال رأيه وذهنه

---

(1)الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 82 .

(2) الجاثية ، 13/45 .

(3) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 82 .

(4) الحشر ، 21/59 .

(5) الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 82 .

(6) المدثر ،17/74-18 .

الثّاقب، ثمّ رتّب وهيّ كلامًا في نفسه، ماذا يقول في القرآن؟ وبماذا يطعن فيه؟"[1].

الخلاصة: إن معنى التّفكّر قد يتداخل أحيانًا مع التّأمّل ، فيصعب هنا الفصل بين اللّفظتين من حيث المعنى ، فقد جاءت أحيانًا بما يستوجب وجود أداة البصر أو إحدى حواس الإنسان، وأحيانًا أخرى بما لا يستوجبه ، إنّما يستحثّ خيال القارىء لصناعة صورة معيّنة يستطيع من خلالها التّوصّل لما وراء الصّورة أو المثل المضروب.

لو تتبّعنا المادة (د، ب، ر) في القرآن العزيز لوجدناها تتموضع في أربعة مواضعٍ في القرآن الكريم كلّها في مقام كتاب الله الكريم ، ولنستعرضها توضيحا:

1- سورة النساء : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2]. أي:" عاب تعالى على المنافقين بالإعراض عن التّدبّر في القرآن في فهم معانيه المحكمة، وألفاظه البليغة، ففي تدبّره يظهر برهانه، ويسطع نوره وبيانه، ولو كان هذا القرآن مختلفًا كما يزعم المشركون والمنافقون لوجدوا فيه تناقضًا كبيرًا في أخباره، ونظمه، ومعانيه، ولكنّه منزّه عن ذلك، فأخباره صدق، ونظمه بليغ، ومعانيه محكمة، فدلّ على أنّه تنزيل الحكيم الحميد"[3].

2- سورة المؤمنون :﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[4].أي: " أفلم يتدبّروا هذا القرآن العظيم ليعرفوا ما فيه من إعجاز النّظم أنّه كلام الله، فيصدّقوا به؟! أم جاءهم من الله بشيء مبتدعٍ

(1)الصابوني، صفوة التفاسير، 3/ 476 .

(2) النساء ،82/4.

(3)الصابوني، صفوة التفاسير، 292/1 .

(4) المؤمنون،68/23.

لم يأتِ مثله في آبائهم السّابقين؟!"[1].

3- سورة ص: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[2]. أي: "هذا الكتاب الذي انزلناه عليك يا محمّد كتاب عظيمٌ جليل، كثير المنافع والخيرات الدّينيّة والدّنيويّة، أنزلناه ليتدبّروا آياته، ويتفكّروا بما فيها من الأسرار العجيبة، والحكم الجليلة، وليتّعظ بها أصحاب العقول السّليمة"[3].

4-سورة محمد : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[4]. "الاستفهام توبيخي،أي: أفلال يتفهّمون القرآن ويتصفّحونه ليروا ما فيه من المواعظ والزّواجر، حتّى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات؟! "أم" بمعنى "بل"، وهو انتقال من توبيخهم على عدم التدبّر إلى توبيخهم على ظلمة الاقلوب وقسوتها حتّى لا تقبل التّدبّر والتّفكّر"[5].

إذًا يتّضح لنا أنّ المراد من لفظة (تدبّر) ومشتقّاتها أنّ المراد منها إعمال العقل و الفكر في القرآن الكريم للوصول إلى نتيجة التّوحيد ، وهي غاية الرسالات ، ومنتهى كلّ البدايات .فالتّدبّر إخراج ما حصّله العقل عن طريق التّفكّر في فكرة واحدة، تأخذ عند صاحبها مرتبة اليقين والمعرفة .

ولا شكّ في أنّ الذي يراقب نفسه تتسامى وترتقي في درجات التفكير لن يستطيع الفصل بين الثلاث مراتب بدقة ؛ إذ لا بدّ من تداخلها، بل وأحيانا تعمل سويًّا ، فالصورة التي تنقلها العين إلى القلب

(1)الصابوني، صفوة التفاسير، 314/2 .

(2) ص ، 29/38.

(3) الصابوني، صفوة التفاسير، 58/3 .

(4) محمّد،47 /24.

(5) الصابوني، صفوة التفاسير، 212/1 .

تعمل بشكل متوازٍ في آن واحد مع تردّدها في القلب، والنّظرة تلو النّظرة تحقّق معنىً جديدًا، وغايةً جديدة، ويقينًا جديدًا.

المطلب الثّالث: التّأمّل، والتّفكّر، والتّدبّر في السنّة النّبويّة.

نستعرض في هذا الفصل الأحاديث النّبوية الشّريفة، التي اشتملت على مفردات البحث، بقصد استنباط معانيها، واستخداماتها على لسان رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، حيث يقول الله، تعالى، في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1]. وقد تمّ جمع الأحاديث من درجة الحسن فما فوق، تتبّعًا لأكثرها صحّة عن نبي الله، صلّى الله عليه وسلّم.

بتتبّع الأحاديث الصحيحة والحسنة في نص كلام النّبي، صلّى الله عليه وسلّم، لم أجد لفظتي التّأمّل والتّدبّر في أيّ منها، ووجدت لفظة التّفكّر ومشتقّاتها في أربعة أحاديث، وهي:

1- قوله، صلّى الله عليه وسلّم: "كونوا في الدنيا أضيافًا، واتخذوا المساجدَ بيوتًا، وعوِّدوا قلوبَكم الرِّقَّةَ، وأكثِروا التّفكرَ والبكاءَ، ولا تختلِفَنَّ بكم الأهواءُ، تبنونَ ما لا تسكنونَ، وتجمعونَ ما لا تأكلونَ، وتأملونَ ما لا تُدركونَ".[2] . في هذا الحديث الشّريف، جاءت لفظة التّفكّر بمعنى إعمال النّظر في أحوال البشر، وفي آيات الكون، وذلك مما يورث القلوب الرقّة، وهي متوافقة مع الاستخدام القرآني.

2- عن عائشة، رضي الله عنها، قال ابنُ عُميرٍ : "أخبِرينا بأعجَبِ شيءٍ رأَيْتِه مِن رسولِ اللهِ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. قال: فسكَتَتْ، ثمَّ قالت: لَمَّا كان ليلةٌ مِن اللَّيالي قال: يا عائشةُ ذَرِيني أتعبَّدِ اللَّيلةَ لربِّي. قُلْتُ : واللهِ إنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَك وأُحِبُّ ما سرَّك. قالت : فقام فتطهَّر ثمَّ قام يُصَلِّي، قالت: فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ حجرَه قالت: ثمَّ بكى فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ لِحيتَه، قالت: ثمَّ بكى فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ الأرضَ، فجاء بلالٌ يُؤذِنُه بالصَّلاةِ، فلمَّا رآه يبكي قال: يا رسولَ اللهِ لِمَ تَبكي وقد غفَر اللهُ لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟ قال:

---

(1) النجم ، 53/3-4.

(2) السفاريني الحنبلي، شرح كتاب الشهاب، 367.

أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟! لقد نزَلَتْ علَيَّ اللَّيلةَ آيةٌ، ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾[1] الآيةَ كلَّها"[2].

في هذا الحديث الشريف تتّضح لنا أهمية التّفكّر في خلق السماوات والأرض وآيات الله والاعتبار منها، حتى أنّ النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، بكى لما تفكّر في هذه الآيات ، ومع أنّ المفهوم هنا يقارب التّدبّر في معاني القرآن، إلّا أنّ النّبي، صلّى الله عليه وسلّم ، استخدم لفظة (تفكّر)، وذلك ليس مخالفة لاستخدام القرآن، ولكن لأنّ الآية في مفهومها تحثّ على التفكّر البصري ، وهو ما يجعل استخدام النبي للّفظة منسجم مع الاستخدام القرآني.

3- قوله، صلّى الله عليه وسلّم: "...على العاقلِ ما لم يكُنْ مغلوبًا على عقلِه أنْ تكونَ له ساعاتٌ: ساعةٌ يُناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يُحاسِبُ فيها نفسَه، وساعةٌ يتفكَّرُ فيها في صُنعِ اللهِ، وساعةٌ يخلو فيها لحاجتِه مِن المطعَمِ والمشرَبِ،... "[3]. وهنا يتضافر مفهوم التّفكّر مع الأحاديث السابقة في إعمال حاسة البصر لاستجلاب معاني التّوحيد.

4- قوله، صلّى الله عليه وسلّم: " هل تُضارُّونَ في رُؤيةِ الشمسِ في الظَهيرَةِ ليستْ في سَحابةٍ؟ هل تُضارُّونَ في رُؤيةِ القمَرِ ليلةَ البدْرِ ليس في سَحابةٍ؟ فوَالَّذِي نفْسِي بيدِه لا تُضارُّونَ في رُؤيةِ ربِّكمْ عزَّ وجلَّ، إلَّا كما تُضارُّونَ في رُؤيةِ أحدِهِما، فيَلْقَى العبدَ، فيَقولُ: أيْ فُلْ، ألمْ أُكرِمْكَ، وأُسَوِّدْكَ وأُزوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لكَ الخيْلَ والإبِلَ، وأذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟ فيَقولُ: بلَى أيْ ربِّ، فيَقولُ: أفظَنَنْتَ أنّكَ مُلاقِيَّ؟ فيَقولُ:

---

(1) آل عمران، 190/3.

(2) ابن حبان، صحيح ابن حبان، 620.

(3) ابن حبان، صحيح ابن حبان، 361.

لا. فيَقولُ: فإنِّي أنْساكَ كَمَا نَسيتَنِي. ثمَّ يَلْقَى الثانِي ، فيَقولُ لهُ : أيْ فُلْ، ألمْ أُكرِمْكَ، وأُسَوِّدْكَ وأُزوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لكَ الخيْلَ والإبِلَ، وأذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟ فيَقولُ: بلى أيْ ربِّ، فيَقولُ : أفظَنَنْتَ أنّكَ مُلاقِيَّ؟ فيَقولُ: لا. فيَقولُ: فإنِّي أنْساكَ كَمَا نَسيتَنِي . ثمَّ يَلْقَى الثالِثَ، فيَقولُ لهُ مِثْلَ ذلِكَ، فيَقولُ: ربِّ آمنْتُ بِكَ، وبِكتابِكَ، وبِرُسلِكَ، وصلَّيْتُ، وصُمْتُ، وتَصدَّقْتُ، ويُثْنِي بِخيرٍ ما اسْتطاعَ، فيَقولُ: هَهُنا إذَنْ، ثمَّ يُقالُ: الآنَ نَبعثُ شاهِدًا عليْكَ، ويَتفكَّرُ في نفْسِه: مَنْ ذا الذي يَشهَدُ عليَّ؟ فيُختَمُ على فيه، ويُقالُ لِفَخِذِه: انْطِقِي، فتَنطِقُ فَخِذُهُ، ولَحْمُهُ، وعِظامُهُ، بِعملِهِ ، وذلِكَ لِيُعذَرَ من نفْسِهِ، وذلِكَ المُنافِقُ، الذي يَسخَطُ اللهُ عليهِ"[1]. وفي هذا الحديث يُعمل المنافق بصره في جسده، أيّ جوارحه قادرة على النّطق والشّهادة، فيظنّه فمه، إلّا أنّ الله، تعالى، يختم على فيه، وتشهد الجوارح التي لم يتوقّعها. وفي هذا المعنى أيضًا، إعمال للبصر لإجابة سؤال (أيّ جوارحي ستشهد علي؟).

يمكن التوصّل من الأحاديث السّابقة إلى معنى التّفكّر نبويًا، والنّتيجة في هذه الحالة تتطابق مع المعنى القرآني، حيث أنها جاءت أحيانا بما يستوجب وجود أداة البصر، وأحيانًا تغيب أداة البصر ويتم إعمال البصيرة والصور المتخيلة، وتردد ذلك كله في القلب، استقصاء للمعاني التي أراد الخالق القدير إيصالها لنا من خلال هذه المشاهدات، أو المعاني.

(1) مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم 2968.

في الخلاصة: توصّل البحث إلى أنّ مفردات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر، مفردات تتداخل فيما بينها ويصعب الفصل فيما بينها، إلا أنّها في الواقع تتراتب، فالتّأمّل ثمّ التفكّر وأخيرًا التدبّر، و هي كذلك تتقاطع سويّة منتجة ملكةً أشمل، يميل البحث إلى تسميتها " التّبصّر"، والرّسم التّالي يوضّح المراد من ذلك.

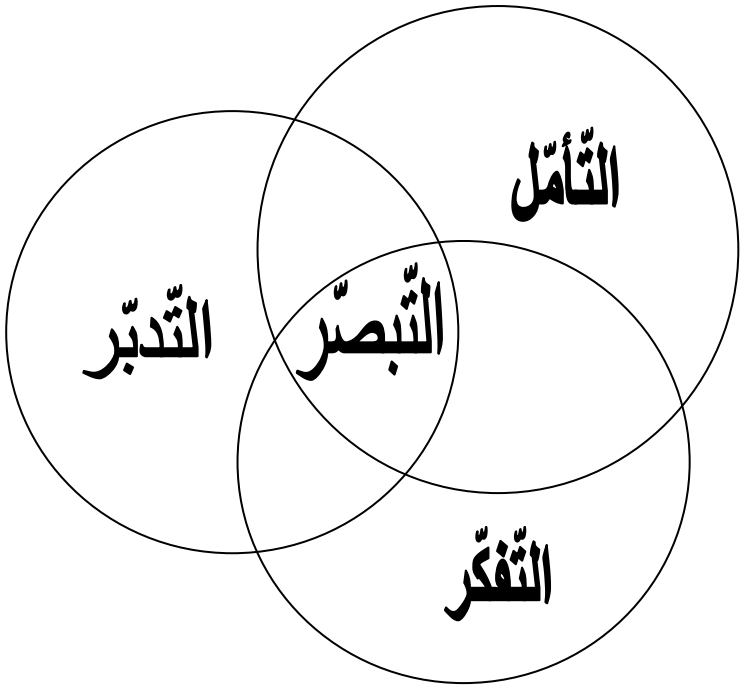

المطلب الرّابع : تعريفات أخرى

1- الطّفل:

الطِّفْل: الْمَوْلُود " طِفْل بيّن الطفولة. قَالَ الْأَصْمَعِي: لَا أعرف للطُّفولة وقتًا، صبيّ طِفْل، وَجَارِيَة طِفْلَة، بيِّنة الطّفولة. فَأَما الْجَارِيَة الطَّفْلَة فالناعمة الخَلْق، والمصدر الطُّفولة"[1]. فهو يعني بالطِفْل من يمارس أَعمال الطِّفْل مهما كان عمره الزّمنيّ. وقال الجوهري:" والجمع أَطْفالٌ. وقد يكون الطِفْلُ واحدًا وجمعًا، قال تعالى: ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ "[2] .

وقد حدّد بعض العلماء فترة الطفولة ، فقال أَبُو الهَيْثم[3]:" الصَّبِيُّ يُدْعَى طِفْلاً حِين يسقُط من أمّهِ إِلَى أَن يَحْتلم"[4].وقالَ المُناوِي: "ويَبْقَى هَذَا الاسْمُ لَهُ حَتَّى يُمَيِّزَ، ثمَّ لَا يُقالُ لَهُ بَعْدَ ذلكَ طِفْلٌ، بل صَبِيٌّ"[5].

وأرجّح قول أبو الهيثم في أنّ الطفولة تمتدّ حتّى سنّ البلوغ ، ، وأستدلّ على ترجيحي بالآية العزيزة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ ﴾[6]، يقول الطّبري في تفسيرها:" يقول تعالى ذكره: إذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم، ويعني بقوله :منكم (من أحراركم) الحلم (يعني الاحتلام)،

---

(1) الأزدي، جمهرة اللغة، 919/2.

(2)الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،1751/5.

(3) أبو الهيثم الرازي،(ت226هـ)، أديب ونحوي مسلم في القرن الثالث الهجري توفي سنة ست وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم بالله. انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، كمال الدين الأنباري، 118/1

(4) الهروي، تهذيب اللغة، 235/13 .

(5) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 370/29.

(6) النور، 59/24.

واحتلموا"[1]، إذًا فقد شاء الله، تعالى، أن تنتهي فترة الطّفولة بالبلوغ، وعلى هذا ارتكزت في هذه الدّراسة، أي: أنّ الطّفولة تنتهي بالبلوغ.

ولا بدّ من التّنويه إلى أنّ مفهوم الطّفل حسب منظّمة "اليونيسيف": "هو "كل إنسان لم يتجاوز سنّ الثّامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه"[2]. فهذا التّعريف جعل من العمر معيارًا لتحديد نهاية سنّ الطّفولة، فحدّدها بالثامنة عشرة، ما لم يخضع الإنسان لقانون آخر.

أمّا علماء الاجتماع، فقد عرّفوا الطّفل على أنّه: " الصغير منذ ولادته وإلى أن يتمّ نضجه الاجتماعي والنفسي، وتتكامل لديه مقوّمات الشّخصية وتكوين الذات ببلوغ سنّ الرّشد دونما الاعتماد على حدّ أدنى أو أقصى لسنّ الطّفل"[3].

وهذا التّعريف يعتمد قدرة الطفل على الاعتماد على نفسه كمعيار لانتهاء فترة الطّفولة، وهو أمر معياريّ، يتفاوت من طفل لآخر، وهو كذلك مشروط بالظّروف المحيطة، فكثيرًا ما نصادف أطفالًا يعتمدون على أنفسهم في كسب لقمة العيش، ويعيشون بمفردهم، ويعتنون بأنفسهم، إلّا أنّ ذلك لا يخرجهم من كونهم أطفالًا .

وينطوي مفهوم الطفولة في علم النفس على معنيين رئيسيّين، الأوّل عام وهو يطلق على الفرد منذ لحظة الميلاد (الطفولة المبكّرة)، حتى مرحلة النضج الجنسي (البلوغ)، والمعنى الآخر خاص، ويطلق هذا

---

(1) الطبري، تفسير الطّبري،215/19.

(2) موقع اليونيسيف، المادة 1،https://www.unicef.org/arabic/crc/files/UNICEF_Big_Poster.pdf

(3) منتصر سعيد حمودة وبلال أمين زين الدين، انحراف الأحداث – دراسة فقهية في ضوء علم الإجرام والعقاب والشريعة الإسلامية ، ص 24.

المفهوم على الأعمار ما فوق سن المهد، وحتى سنّ المراهقة[1].

وقد قسم زهران مرحلة ما قبل المراهقة الى خمسة مراحل ، وهي[2]: مرحلة ما قبل الميلاد (من الإخصاب إلى الولادة)، ثم مرحلة المهد(من الميلاد إلى عامين)، ثم مرحلة الطفولة المبكرة(3–5)، ثم مرحلة الطّفولة المتوسطة(6–8)، وأخيرًا مرحلة الطفولة المتاخرة(9–11)، ويعتبر المراهقة مرحلة مستقلّة بذاتها.

وهذا التعريف متطابق مع التعريف الفقهي للطفل، ويدعمه في اعتبار العلامات البيولوجية معيارًا لانتهاء فترة الطّفولة.

لذلك يتبنّى البحث تعريف علماء الفقه و علماء النفس للطّفل هو الأكثر موضوعيّة، وأصدق وصفًا، لأنّه يعتمد التّغيرات البيولوجيّة معيارًا لانتهاء فترة الطّفولة، وهو معيار محسوس، وقابل للقياس.

---

(1) انظر: Childhood ", /www.unicef.org, Retrieved 12-7-2018. Edited:

(2) انظر: حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، ص62.

2- نظام الإصلاح الذّاتيّ:

ويُقصد به: تربية الطّفل الذّاتية لنفسه، عن طريق تزويد الطّفل بالمهارات الّتي تكفل الحفاظ على جوهر إنسانيّته، المصبوغ بصبغة إسلاميّة، في ظل الظروف والأزمنة والمشكلات المتغيّرة من حوله، والتي تمكّنه من تمييز الغثّ من السّمين، والصّالح من الطّالح، والقيام بمسؤوليات نفسه، من رقابة وإصلاح وترقية.

فالله، عزّ وجلّ، زوّدنا بنظام إصلاح ذاتيّ، عماده الإيمان الحيّ ، وما يجعل الإيمان حيًّا في القلوب هو الترقّي من التفكّر والتّأمّل في خلق الله، تعالى، إلى التّفكّر في النّفس وفهم الذّات، يقول تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، ولم يغفل كبار العلماء والأولياء عن مثل هذه المهارات، بل وألفوا فيها كتبًا قيّمة في تزكية النفس وتربيتها وإخضاعها والسيطرة عليها، لكن الجزئيّة الّتي غفل عنها المربّون، والتي لم أجد أحدًا يتكلّم فيها في الماضي أو الحاضر هي أن الأطفال –أيضًا– بإمكانهم استخدام نظام الإصلاح الذّاتيّ، الذي أودعه الخالق فيهم، فلم أجد من ألّف في هذا الموضوع بحيث يفسر آلياته ووسائله، أو ينبه المربين إلى وجود مثل هذا النّظام أصلًا لدى أطفالهم.

إنّ تفعيل هذا النّظام سيوفّر على الأبوين عناء خوض معركة المراهقة مع أولادهم، و قلقهما الدّائم على أطفالهما من المجتمع المحيط وتغيّراته، فإنّ الطّفل المزّوّد بالقدرة على التفكّر في محيطه ابتداءً، والذي ترقىّ إلى التأمّل في ذاته ، والمزوّد بالتربية الإيمانيّة اللّازمة ، أصبح قادرًا على إصلاح نفسه، بل والتّرقّي بها، بالطّبع سيكون بدايةً بالتّعليم من قبل الأبوين، وبعد ذلك ستكون العمليّة تحت إشرافهما فقط.

ويتشكّل هذا النّظام من ستّة مهارات تتضافر سويًّا لتشكيل هذا النظام، يقع على كاهل الأبوين مسؤولية إكسابها للطفل، وهي: النقد الذّاتيّ، والتّحفيز الذّاتيّ، والعقاب الذّاتيّ، والتّقييم الذّاتيّ، والتّنبّؤ الذّاتيّ، والتّرقية الذّاتيّة.

ونحن نأمل من خلال هذه الدّراسة، أن نرسم ملامح هذا الطّريق، ونبسّط المفاهيم، ونقترح عليهم بعض الطرق العملية، الّتي تعين المربّين للوصول إلى هذه الغاية.

الفصل الأوّل : أهميّة التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : أهميّة التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر على المستوى العقائديّ.

المطلب الثاني : أهميّة التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر على المستوى الفكريّ.

المطلب الثالث : أهميّة التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر على المستوى السلوكيّ.

المطلب الأوّل : أهميّة التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر على المستوى العقديّ:

لا شكّ في أنّ أوّل ما يجب على المسلم الاهتمام به ، هو تزكية عقيدته ، ومحض التوحيد لله، تعالى، وحده، لا يشركه أحدًا من خلقه، وتحقيق اليقين القلبيّ بمقتضيات أركان الإيمان ، توصُّلًا لمرتبة الإحسان، وهي أن تعبد الله كأنّك تراه، كما جاء في الحديث الشّريف: "أنَّ رَسولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، كانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إذْ أتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ ما الإيمَانُ؟ قالَ: "الإيمَانُ أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، ولِقَائِهِ، وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ الآخِرِ"، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ ما الإسْلَامُ؟ قالَ: "الإسْلَامُ أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ولَا تُشْرِكَ به شيئًا، وتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ"، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ ماالإحْسَانُ؟ قالَ : "الإحْسَانُ أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ"،..."[1].

وذلك لا يكون بمجرّد العلم ، بل يتطلّب المعرفة اليقينيّة في القلب. فلنرَ كيف يتدخّل كلّ من: التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر في أهمّ أركان الإيمان من خلال الآتي:

1- تعزيز الإيمان بالله وحده لا شريك له .

لا يتحقّق الإيمان بالله، تعالى، بمجرّد العلم بوجوده ، فمهما بلغت درجة صدق المُبلِّغ ، إلّا أنّ الله، تعالى، أمر النّاس جميعًا أن يُعملوا عقولهم وأبصارهم في الكون بحثًا عنه، تعالى، لأنّ الله، عزّ وجلّ، ليس بحاجةٍ لمن يردّد الشّهادتين دون تحقّقٍ في القلب، ودون يقينٍ يقرُّ به الفؤاد، لذلك نرى أنّ آيات القرآن التي جاءت لإعمال البصر والقلب في الكون هي الأكثر عددًا بين الآيات التي سبق ذكرها في التّمهيد، لأنّ الغاية الأسمى هي: توحيد الله ، والإعتراف بأحقيّته بألوهيّة هذا الكون صانعًا وبارئًا ومبدعًا .

(1) البخاري، صحيح البخاري ، حديث رقم:4777.

يقول تعالى في سورة المؤمنون :﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1]. أيّ: " لو كان معه آلهة كما زعم عبدة الأوثان، لانفرد كلّ إله بخلقه الذي خلق، واستبدّ به، وتميّز ملك كل واحد عن ملك الآخر"[2].إذاً، لو كان مع الله شركاءَ لاختلّت موازين الكون ، فعملًا لتحقيق هذه المعلومة معرفةً في القلب، لابدّ من التّفكّر في خلق الله هل فيه خللٌ، أو تنافرٌ، أو تناقض ؟! يقول الله، تعالى، مطالبًا كلّ مشكّكٍ أن يتحقّق بنفسه تلك المعادلة في سورة ق :﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[3]. وكما قال الأعرابي حين سئل عن وجود الله : "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير ؟!"[4].

يقول الجنيد[5]، رحمه الله : "أشرف المجالس وأعلاها، الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد ، والتنسُّم بنسيم المعرفة ، والشرب بكأس المحبّة من بحر الوداد ، والنّظر بحسن الظنّ لله، عزّ وجل"[6].

---

(1) المؤمنون ، 91/23 .

(2) الصابوني، صفوة التّفاسير،319/2.

(3) ق ، 6/50-8 .

(4) الجاحظ ، البيان والتبيين، 163/1.

(5)الجنيد هو: أبو القاسم :بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز (ت297هـ)، صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، وقال ابن الأثير في وصفه :إمام الدنيا في زمانه. انظر: الزركلي، الأعلام،141/2.

(6) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، 425/4.

2- تعزيز الإيمان بالنبيّ، صلّى الله عليه وسلّم :

لاشكّ في أنّ طبيعة الإنسان المتسائلة تفرض عليه عدم تصديق كلّ داعٍ، بل هذا هو الصّواب بعينه، لكنّ العاقل لايوقف نفسه عند محطّة الشّكّ، بل يرتقي بها وصولًا إلى اليقين، ثمّ يتحقّقها معرفةً في قلبه.

وفي مقام النّبي، صلوات ربّي عليه، فإنّ التفكّر يكون في أخلاقه وصفاته الكاملة، فهل يكون مثل هذا البَرُّ الخلوق الكامل الجميل كاذبًا أشرًا؟ وما المستفاد من كذبة كهذه إن كانت قريش عرضت عليه كلّ متاع الدّنيا، من رئاسة ومال ، لكنّه رفض؟ إمّا أن يكون مجنونًا أو نبيًّا ، يقول تعالى في الأعراف: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ١٨٤ ﴾[1]. يأتي دور الفكر ليخلّص المسألة ويبتّ فيها فالله، تعالى، يطلب من االمكذّبين أن ينظروا في أعماله وصفاته، ما هكذا يكون حال المجانين! وقد عاش بينهم زمنًا فلم يروا عليه علامات الجنون، ووالله إنّ صفاته لهي صفات الأنبياء الأتقياء، فتحصل بذلك معرفته اليقينيّة في القلب، وما ينبني عليها من محبّة وموالاة لأشرف الخلق قاطبة ، محمّد، صلى الله عليه وسلّم.

3- الإيمان بالقرآن الكريم كتابًا سماويًا .

كما أسلفنا في السّابق ، المتيقّن بوجود الله ، لابدّ وأن تتوافر له جملة من المعلومات التي تبقى على خزينة الدّماغ ، والتي لا ترسخ في القلب الذي هو موضع اليقين إلّا بإعمال الفكر فيها، وأحد أهمّ هذه المعلومات ، كلام الله، عزّ وجل ، فهو الطّريقة التي ارتضاها الله لنفسه أن يوصل من خلالها رسائله إلينا، والغاية التي خلقنا من أجلها، ومن أهمّ المهمّات أن يحصل اليقين بأنّ هذا الكتاب كتابٌ سماويٌّ من

(1) الأعراف ، 148/7.

عند الله، لا يطاله التّحريف والتّبديل، وهنا يأتي دور الفكر لا النصّ، لأنّ النص هو أصلا موضع البحث والتّمحيص، يقول الله، عزّ وجلّ، في سورة النّساء ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1]. يطلب الله، تعالى، من الإنسان أن يتفكّر في النّص إن كان يقارب كلام البشر، فهل يتخلّله تناقضٌ ما؟ أم أنّه أغفل شيئًا لم يُحِط به بين دفتيه؟ أم أنّ وقعه في القلب تلاوةً كسائر ما يُتلى من كلام البشر؟! ، بل إنّه منسجم لا اختلاف فيه، لأنّ مصدره إلهيّ، فسبحانك يا الله، صدّقنا أنّه كلامك، وتيقنّا بذلك .

4- الإيمان بالبعث واليوم الآخر .

لا يستطيع أحدٌ تقدير الظّلم الواقع على البشريّة جمعاء لو ترك النّاس دون حساب، دون ثوابٍ وعقاب، لكن الحقّ العدل الذي حرّم الظّلم على نفسه، فرض علينا العودة من جديد لنشهد على أنفسنا بما عملنا، ولنجزى بالخير خيرًا وبالشّرّ شرًّا ؟

ففكرة اليوم الآخر من الناحية المنطقيّة لازمة، لكن تبقى ناحية القدرة، فهذه العظام التي اختلطت بتراب الأرض، فتفرّقت ذرّاتها فيه، وتباعدت بفعل الرّياح والأمطار والعوامل الأخرى، هل يُعقل أن يأتي عليها يوم تجتمع فيه من أقطار الأرض بباقي هيكلها لإعادة إنشاء إنسانها من جديد ؟ هنا يتوقف العقل قليلاً مفكّرًا باحثًا في الدّلائل والقرائن، يدلّه كتاب الله العزيز على مفاتيح الإجابة الشّافية فيقول في سورة العنكبوت : ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ

(1) النساء ، 82/4 .

ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾﴾[1]. أيّ: أنّ البداية الأولى، تعني بدايةً ثانية، لأنّ قدرته تعالى غير محدودة.

ويقول في موضعٍ آخرَ من سورة الرّوم :﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾[2]. وذلك لأنّه رب هذه الأرض، المتكفّل بإحيائها رحمة منه، كذلك تكفّل بإحياء البشريّة بعد فنائها، رحمة منه كذلك، وإظهارًا لقدرته تعالى.

ويقول مخاطبًا العُزير في سورة البقرة : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾[3]. فيقول: انظر أيّها العزير، إلى طعامك الذي لم يتأثّر بمرور مئة عام، في حين أنّ حمارك أصبح كومة من العظام ، يُفني ما يشاء، ويُبقي ما يشاء، ومشيأته وسعت أن تقوم العظام أمام ناظريك، وتستعيد حياتها وأصلها.

ويقول جلّ من قائل في سورة الروم :﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ [4]. لأنّ التفكّر في الخلق سيقود حتمًا إلى التّفكّر في الذّات، والتي فيها ما هو أعجب من سائر الكون!

---

(1)العنكبوت ، 20/29 .

(2)الروم ، 50/30 .

(3) البقرة ، 259/2 .

(4) الروم ، 8/30 .

هكذا يقودنا التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر إلى بلورة عقيدة صحيحة متينة، لا يستطيع أحد بتّها ، لأنّها تعدّت مرحلة المعلومة إلى المعرفة اليقينيّة، وأصبحت منطق القلب، فيتوطّن القلب عليها، معلنًا أن: لا إله إلا الله ، محمّد رسول الله ، لهي حقّ اليقين .

المطلب الثاني : أهميّة التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر على المستوى الفكريّ

من المعلوم أن نور العقل في الإيمان ، وسعة مداركه بتحقّق العبوديّة لله ، و التي يجعلها نقطة لانطلاقه نحو الكون مفكّرا فيه ، ومُعْمِلًا عين بصره فيه تارة ، وعين بصيرته تارة أخرى ، فهل للتفكّر بعد العقيدة دور ؟!

1-الوصول إلى مرتبة الحكمة :

الحكمة نتيجة وثمرة حتميّة لكلّ فكرٍ حرّ ، ولكلّ متأمّل في الله بصفاته وأسمائه من ناحية ، وخلقه وشؤونهم من ناحية أخرى . والحكمة أعلى درجات التّعقّل وإعمال العقل .

يقول الشافعي، رضي الله عنه: "الفضائل أربع: إحداها: الحكمة، وقوامها الفكرة، والثانية: العفَّة، وقوامها الشهوة، والثالثة: القوة، وقوامها الغضب. والرابعة: العدل، وقوامه في اعتدال قوى النفس "[1]. يقصد أنّ التّأمّل في الأحوال، والتّفكّر في النّفس، وتدبّر القول هو عماد الحكمة، وبه تستقيم الرؤى والآراء.

وكذلك ذكر الغزاليّ أنه قيل لإبراهيم، عليه السلام : إنك لتطيل الفكرة . فقال:" الفكرة مخ العقل"[2]. أي: لبّه وأصله، فلا عقل بلا تأملٍ وتفكّرٍ وتدبّر.

وقال الحسن البصريّ: "إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذّكر على الفكر وبالفكر على الذّكر حتّى

---

(1) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، 424/4.

(2) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، 425/4.

استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة"[1]. فالذكر والفكر ينتج كلٌ منهما الآخر، فلا تعرف أيّهما الأصل وأيّهما النّتيجة؟! ويتّضح لنا هنا علاقة التّفكّر بالتّدبّر، فيعود كلّ منهما على الآخر، في دائرة تقود المرء أخيرًا إلى الحق، فنخلص مما سبق أنّ الحكمة نتيجة حتميّة لممارسة التّفكّر، والتّأمّل، والتّدبّر.

2- العبرة والاتّعاظ بكل ما كان من حوادث وهيئات وحالات:

وهذه طبيعة المتفكّر ، خصوصًا المتفكّر في أحوال البشر ومآلات اختياراتهم ، فهو بذلك يكفي نفسه عناء خوض تجاربهم . وتكليف نفسه ما كفاه غيره من تحمله .

يقول الله، تعالى، في سورة يوسف : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[2].ويقول جلّ من قائل في سورة الأعراف:﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[3].

وقد كان سفيان بن عُيينة[4] يتمثّل قول القائل:"إذا المرء كانت له فكرة، ففي كلّ شيء له عبرة"[5].

(1) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، 425/4.

(2) يوسف ، 109/12 .

(3) الأعراف ، 176/7 .

(4) سفيان بن عُيينة: هوسفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد (ت725هـ)، محدّث الحرم المكيّ، قال عنه الشّافعي:" لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز"، انظر: الزركلي، الأعلام،105/3.

(5) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، 424/4.

نخلص مما سبق إلى أن التّأمل والتّفكّر في أحوال البشر، هو طريق للاتعاظ بأحوال الناس، مما يكفي الإنسان عناء تجربة ما جرّبوه فيتفادى اخطاءهم وهفواتهم.

3- التريث في إطلاق الأحكام:

يقول تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾[1]. أيّ: " فتثبّتوا من صحّة الخبر، لئلا تصيبوا قومًا وأنتم جاهلون حقيقة الأمر "[2].

يقول محمّد هيكل في كتابه (مهارات التّعامل مع النّاس):" نلاحظ أننا لا نكون انطباعاتنا عن النّاس عشوائيًّا أو عن طريق الحظّ أو الّصدفة، وإنّما نقوم بالرّبط والتّنسيق والتّأليف بين الصّفات التي ندركها عن الآخرين، والمعلومات التي نجمعها، أو تصلنا عنهم، متأثّرين في ذلك إلى حدٍّ كبير بنظرتنا الخاصّة، وانتمائنا الاجتماعيّ، وقيمنا، وأحكامنا، واتّجاهاتنا، ومشاعرنا، ومجمل ميولنا الذّاتية"[3].

إنّ ممارسة التّأمل والتفكّر والتّدبّر بشكل منتظم يعوّد النّفس الهدوء ، ويسهّل على النّفس الانفكاك من كل المؤثّرات التي ذكرها هيكل فتؤثّر في أحكامنا على الآخرين، وكذلك فإنها تكبح جماح الاندفاع والتّهوّر فيها، وهما المسبّبان الرئيسان للأحكام الخاطئة عادة، وهما مبعث الانفعالات اللامحسوبة النتائج والعواقب ، لذلك ترى الذي تعوّد التّأمّل، يتأمل في حال المسيء إليه مثلاً، فتراه يضع الفرضيّات حول أسباب تصرّفه، بل ويحلل مكنونات شخصيّته بناءً على ملاحظة كلماته وانفعالات وجهه، فهو في هذا

---

(1) الحجرات ، 6/49 .

(2) الصّابوني، صفوة التفاسير، 233/3 .

(3) هيكل، مهارات التعامل مع الناس، ص 72

المقام بعيدٌ كلّ البعد عن ذاته الّتي عرف حجمها الطّبيعي في هذا الكون، يعلم مدى ضآلته، ويعلم عظيم صانعه، لذلك هانت النّفس عليه، وعلا مقام الربّ لديه، فأصبح أسير ملكوته، يسير في كونه متفكّرًا في أحوال البشر ممّن حوله، لا تشغله الأنا، ولا تلجمه الضّمائر الأخرى، بل يتّخذ من هذا الكون مصحفًا يطالع فيه العبقريّة، ويرتقي إيمانه يقينًا، فهمّه الأوّل، التماس الأعذار للنّاس، وعزو تصرّفاتهم لما ليس في أيديهم، فتكون المغفرة عنده إثم، إذ يرى نفسه أصغر من أن يغضب فيُطلب منه العفو.

ويؤكد ما سبق قول محمد هيكل أننا نتأثر بصورتنا عن أنفسنا عندما نكون انطباعاتنا عن الآخرين، فالصورة الإيجابية عن النفس تقود الإنسان إما لتعميم هذه الصورة على الجميع، أو لخلق حالة من الاستعلاء على الآخرين، وكذلك فإن الصورة السلبية عن النفس ينتج عنها إما تعميم هذه الصورة على الآخرين، أو الشعور بالدونيّة تجاههم[1].

وما نريد التّوصّل إليه من خلال التّأمل هو معرفة حجم النفس الطّبيعيّة، من دون إفراط أو تفريط، دون الوصول إلى التكبّر أو الشّعور بالدونية تجاه الآخرين.

4- التفكّر دافع رئيس للعلم :

في مضمار العلوم التطبيقية ، نعلم علم اليقين أنّ هذه العلوم إنّما تعتمد أوّلًا على قوّة الملاحظة، والتّأمّل الدّقيق في علاقات الأشياء ببعضها وتفاعلاتها، حيويًّا وكيميائيًّا ... إلخ ، ومثال ذلك حينما سقطت تفّاحة على رأس "نيوتن"، لم يمرّ سقوطها مرّ الكرام في فكره، مع أنّه أمر طبيعي يحدث كلّ يوم ملايين المرّات في هذه الأرض، إلّا أنّ الحدث البسيط العاديّ بالنّسبة لكلّ الناس، حين صادفه متأمّلٌ

(1) انظر: المصدر السّابق، ص 71-72.

نتج منه علم عظيم كبير ، ونظريات علميّة ، تقود لعلوم أكبر ، وترتكز عليها نظريّات تتفرّع عنها.

ويقول مالك بدري: " أن الخطوات الأولى في التفكر كعبادة، أو على الأقل التفكّر في بيئة الإنسان الخارجية، هي الملاحظة الواعية والمشاهدة الدقيقة بالحواس، عن طريق البصر والسّمع والشّم والذّوق واللّمس، وهذه بعينها هي الخطوة الأساسيّة التي تتّبعها الطّريقة العلميّة(Scientific Method) للوصول إلى نتائجها المعتمدة، وإلى تصميماتها ونظريّاتها، كما أنّ الأدلّة التي تقوم على الملاحظة الدّقيقة عن طريق الحواسّ (Empirical Evedance) هي الأدلّة الوحيدة التي يقبلها العلم التّجريبي"[1].

أما في باب العلوم الإنسانيّة، فلا شكّ في أنّ الاعتماد الأوّل والأخير على تأمّل أحوال الإنسان فكرًا ولغةً وإجتماعًا وإنفرادًا. يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2] .إذ أنّ هذا الإنسان الموضوع محل التفكّر ، إنّما ينطوي على خصائص مركّبة بالغة التّعقيد، يصعب حصرها في قوانينٍ ثابتة كما في العلوم التّطبيقية، لذلك فإنّ العلوم الإنسانية من العلوم دائمة التّطوّر، لاختلاف البشر والمجتمعات من قرنٍ لآخر.

جلّ ما ذكرناه ينطبق أيضاً على العلوم الشّرعيّة والفقهيّة، إذ أنّ الفقيه يعلم أن لكل حالة حكماً، ويلزمه التفكّر في حالة السائل ، وإجابته بما يناسب ظرفه ووضعه . ونُعطي مثالًا على ذلك ما يُروى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلا سَأَلَهُ: "أَلِقَاتِلِ الْمُؤْمِنِ تَوْبَةٌ؟ فَقَالَ: لَا، وَسَأَلَهُ آخَرُ: أَلِقَاتِلِ الْمُؤْمِنِ تَوْبَةٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ،

(1) مالك بدري، التّفكر من المشاهدة إلى الشّهود، ص 99.

(2) الروم ، 21/30 .

فَقِيلَ لَهُ: قُلْتَ لِذَلِكَ: لا تَوْبَةَ لَكَ، وَلِذَلِكَ: لَكَ تَوْبَةٌ، قَالَ: جَاءَنِي ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ قَتَلَ، فَقُلْتُ: لا تَوْبَةَ لَكَ لِكَيْ لا يَقْتُلَ، وَجَاءَنِي هَذَا وَقَدْ قَتَلَ، فَقُلْتُ: لَكَ تَوْبَةٌ لِكَيْ لا يُلْقِيَ بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ"[1]. نلاحظ أن الفقيه اعتمد على قدرته على التّأمّل في وجوه النّاس، لمعرفة أحوالهم ، وتزويدهم بالحكم الشرعي الملائم لحال كلّ منهم. وكذلك المفسّر، يعمل نظره في الآيات القرآنيّة، فيفسّر بعضها ببعض حينًا، وبعضها بحديثٍ شريفٍ حينًا آخر، وبعضها بما يفتحه الله، تعالى، عليه بعد أن أخذ بالأسباب، فأعمل نظره وفكره في الكتاب، فوهبه من علمه الوهّاب. يقول جلّ في علاه في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:" اسْتَعِينُوا عَلَى الكلام بالصّمت، وعلى الاستنباط بالفكر" [3] ، أي: إذا أردت أن تتكلّم بالمفيد فاستمع وانصت، وإن أردت استنباط الأحكام فعليك بالتفكّر بالقرآن.

5- التّفكّر حلّ لحالة التّشوّش الفكريّ والضّياع .

يقول تعالى في سورة سبأ : ﴿ * قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ ﴾[4].

(1) الواحدي ، التفسير الوسيط ،99/2.

(2)الأنعام ، 50/6 .

(3) الغزالي، إحياء علوم الدّين، 425/4.

(4) سبأ ، 46/34.

في الوقت الذي يختلط فيه الحقّ مع الباطل ، ويصعب تمييز الصّادق من الكاذب ، ويحتار الإنسان في حاله، وأحوال الزّمان من حوله ، يصبح الإنسان في حالة تشوّش وضياع ، كلّما عرف حقيقة توصّل لما ينقضها، وكلّما عرف حقّا ، سرعان ما يدرك أنّه الباطل بعينه، في هذه الأحوال الصّعبة، إن لم يكن للمؤمن فيه ظهر قويّ انهار، وأصبح نهبًا لهذه الفتن الجِسام، و ليس من ملجأ يلتجئه الإنسان إلّا الله، فعليه أن يتوقّف عن كلّ تفكيرٍ عشوائيّ، وأن يقوم لله متفكّرًا متأمّلًا، طالبًا من الله العون والتّسديد ، ويُفضّل في هذه الحال أن يكون العبد وحيدًا، أو ثاني اثنين، حتى يخرج بنتيجة تخلو من التّأثير البشريّ فيها، وتكون نتاج فكره المحض[1].

(1) الفكرة مختصرة من خطبة جمعة، عدنان ابراهيم، نظرة جديدة على أسباب الكفر، بتاريخ 3-9-2010، مدينة فيينا، عاصمة السّويد: مسجد الشورى.

المطلب الثالث : أهمية التّفكّر على المستوى السّلوكيّ .

حينما كان التّأمل والتّفكّر وسيلة للارتقاء بالإيمان إلى أسمى درجاته، كان لابدّ لأثر هذا الإيمان أن يظهر على جوارح العبد، فلا خير في إيمان لا يرتقي بسلوك صاحبه.

أمّا أثره فلا يقتصر على مضمارٍ واحدٍ في الحياة، بل في كلّ مجالٍ من مجالاتها ، وفي كلّ مستوىً من مستوياتها، ونحن سنستعرض بعض هذه الجوانب التي برأيي تعتبر الأهم والأكثر وضوحًا في بيان أثر التّأمّل والتّفكّر في سلوك الفرد .

1- القدرة على التّسامح:

يقول الله، تعالى، في سورة النّور:﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1].أيّ: " ليعفوا عمّا كان منهم من جرم، وليصفحوا عما بدر منهم من إساءة، وليعودوا إلى ما كانوا عليه من الإنعام والإحسان، ألا تحبّون أيّها المؤمنون أن يغفر الله لكم على عفوكم، وصفحكم، وإحسانكم إلى من أساء إليكم؟!"[2].

"هذا الكلام الجميل، كلام العليم الخبير، يرشدنا فيه إلى قاعدة مهمة في التعامل، وهي اتّباع مبدأ الصفح الجميل، وربْط تعاملنا مع بعضنا بعضاً بالنظر إلى الدار الآخرة والساعة الآتية لا محالة! فطالما أن الساعة آتية فاصفح الصفح الجميل، ولا تكن لحوحاً في استيفاء حقوقك، وطالما أن الساعة آتية فاحسب حساباً لها أيها الإنسان!. ولَكَ أن تتصور كم تكون الحياة جميلة لو اتّبعنا قاعدة الصفح الجميل

(1) النور ، 22/24 .

(2) الصّابوني، صفوة التّفاسير، 333/2.

في حياتنا، وقاعدة النظر إلى الدار الآخرة والساعة الآتية، وكم تكون الحياة قبيحة مؤذية عندما يغيب أسلوب الصفح الجميل، وأسلوب النظر إلى الساعة الآتية!!."[1].

وذلك لأن الإنسان المتأمّل يتأمّل حال المسيء إليه، فتراه يضع الفرضيات حول أسباب تصرّفه ، بل ويحلّل مكنونات شخصيّته بناءً على ملاحظة كلماته وانفعالات وجهه، فهو في هذا المقام بعيدٌ كلّ البعد عن ذاته التّي عرف حجهمها الطّبيعيّ في هذا الكون يعلم مدى ضآلته، ويعلم عظيم صانعه ، لذلك هانت النّفس عليه، وعلا مقام الربّ لديه، فأصبح أسير ملكوته، ويسير في كونه متفكّرًا في أحوال البشر ممن حوله، لا تشغله الأنا، ولا تلجمه الضّمائر الأخرى، بل يتّخذ من هذا الكون مصحفًا يطالع فيه العبقريّة، ويرتقي إيمانه يقينًا، فهمّه الاوّل إن رأى ما يسوءه، التماس الأعذار للناس ، وعزو تصرّفاتهم لما ليس في أيديهم، فتكون المغفرة عنده إثم، إذ يرى في نفسه أصغر من أن يغضب فيُطلب منه العفو. وتهون نفسه عليه فلا يغضب لها.

قال يوسف،عليه السّلام، لإخوته لمّا حضرته الوفاة: " يا إخوتاه، إنّي لم أنتصف لنفسي من مظلمة ظلمتها في الدّنيا، وإنّي كنت أظهر الحسنة، وأدفن السّيّئة. فذلك زادي من الدّنيا، يا إخوتي إنّي شاركت آبائي في صالح أعمالهم، فأشركوني في قبورهم" [2].

من فوائد (الصفح) [3]:

(1) الصّفح أعمق من العفو. إذ يزيل الله به أثر الضّغائن.

---

(1) عبدالله الرحيلي، الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، ص44.

(2) الاصبهاني، المنتقى من مكارم الأخلاق ومعاليها، ص84.

(3) صالح بن حميد ، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، 2535/6.

(2) أمر الله المؤمنين بالصّفح حتّى عن ألدّ الأعداء كي يذوقوا حلاوة الإيمان، فيدخلوا فيه.

(3) الصّفح من مستلزمات الإحسان، والإحسان أعلى درجات الإيمان.

(4) الصّفح يقوّي رابطة التّآخي بين أفراد المجتمع ويجعلهم متحابّين متّحدين.

(5) الأمّة الّتي يتحلّى معظم أفرادها بالصّفح، تكون أمّة سعيدة في الدّنيا والآخرة. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

2- التفكّر دواء للكبر :

يقول الله، تعالى، في سورة البقرة ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [1].

ضرب القرآن الكريم مثلًا نراه بشكل متكرّر في حياتنا على اختلاف شكل الجنّة من؛ منصب وجاه، أو أملاك وعقارات، وكذلك على اختلاف شكل الأعاصير التي تعصف بتلك الجنان من؛ هبوط في البورصة، أو خسارة منصب أو وزارة، وفي دعوة القرآن للإنسان في هذه الآية للتّفكّر دفعًا لما في النّفس من الكبر الذي يصيب الكبير والصّغير.

إنّ الطّفل المتكبّر هو نتاج أسرة اتبعت أسلوبًا خاطئًا في تربيته، من خلال الاهتمام الزائد به، فيقول محمد نعيمة :" من أهم العوامل أثرًا في تعيين موقف الطّفل من المجتمع الخارجي فكرته عن نفسه (وبالتالي عاطفته نحو نفسه)، تلك التي يكونها الفرد نتيجة احتكاكه بأفراد الأسره، وفهمة لمنزلته عندهم،

(1) البقرة ، 266/2 .

ذلك لأنّ معاملة الوالدين للطّفل تتضمّن أحكامًا على قيمته أو مكانته، فالاهتمام الزّائد برعاية الطّفل حكم عليه بالعجز، ثم قضاء عليه بالتّبعيّة، وإغراء له بالتّثبت بطفولته، وقد يوهمه هذا الاهتمام الزّائد أنّه مركز العالم، ويغرس في نفسه بذور العناد والتّسلّط"[1].

ثم يقترح حلًا لتفادي هذه المشكلة وذلك بـ" الاهتمام المتّزن بالطّفل وتجنّب الإفراط أو التفريط في تقديره يكسبه فكرة عن نفسه تطابق حقيقته، فلا هي أعظم من قدره فيغترّ، ولا هي أقلّ من قدره فيذلّ"[2].

إن الطّفل المتأمّل ، القادر على إدراك نفسه وحقيقته، المتفكّر فيما حوله، لهو قادر على أن يضبط شهوة الكبر في نفسه، وهذه من الثّمار المّأمولة من إكساب الطفل مهارات التّفكّر والتّدبّر والتّأمّل.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ [3].أيّ: "أيُّ شيءٍ خدعك بربّك الحليم الكريم، حتّى عصيته وتجرّأت على مخالفة أمره مع إحسانه إليك؟!"[4].

وأخيرًا، فيا أيّها الإنسان الضّئيل، الذرّة في هذا الكون، الذي يظنّ أنّ الكون إنّما خلق لأجله وحده، الّذي يظنّ أنّه الأحقّ والأجدر بكلّ خير، فإنّه مهما علوت في هذه الحياة الدنيا، وحزت من الخيرات، فإنك لست بمأمن من الله إن تكبّرت في أرضه، وعدوت على الناس بغير حق، فأمره، تعالى، بين الكاف والنّون، ففيم التّكبّر وكلّلك صنيعه، ألا تتفكّر في نفسك وأحوالها وأعراضها من مرض، وحزن، وقذارة، وفناء ، عجباً لمن تفكّر في نفسه فتكبّر !

(1) محمّد نعيمة، النّضج الاجتماعيّ لطفل ما قبل المدرسة، ص44.

(2)المصدر نفسه، ص44.

(3) الإنفطار ، 82/6-8 .

(4) الصّابوني، صفوة التّفاسير، 528/3.

3- التفكّر يقود إلى الزهد في الدنيا

يقول الله، تعالى، في سورة يونس :﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1]. هذه هي حقيقة الحياة الدّنيا، متقلّبة ومخادعة، وادعة حينًا وعاصفة أحيانًا كثيرة، تُشعرك بأنك وصلت إلى عنان السّماء، في حين أنّها تنخر سلّم ارتقائك بقوارض من حديد!

إنّ المتأمّل في دنياه يتوصّل لحقيقة أنّها محض حلم يُعايشه فترة، فإنّ أفاق منه فلا يجد في نفسه إلا سرورًا إن كان خيرًا ، أو ضيقًا وحزنًا إن كان شرًّا، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[2] . أيّ: " من يفعل من الخير زنة ذرّة من التّراب، يجده في صحيفته يوم القيامة، ويلق جزاءه عليه، ومن يفعل من الشرّ زنة ذرّة من التّراب، يجده كذلك ، ويلقَ جزاءه عليه"[3]. فيعلم علم اليقين أنّ الآخرة خيرٌ وأبقى، وأنّها دار المرور، لا دار القرار ، فليس للمؤمن فيها من شيء في الأساس، إلا أنّ الله يعلم أنّه لو فرض ذلك ، لأشرك النّاس جميعًا إلا قليلاً ، يقول تعالى في سورة الزخرف : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن

---

(1) يونس ، 24/10 .

(2) الزّلزلة ، 99/7-8 .

(3) الصّابوني، صفوة التّفاسير، 591/3.

فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾[1]. أي: " لولا أن يرغب النّاس في الكفر إذا رأوا الكافر في سعة من الرّزق، ويصيروا أمّة واحدة في الكفر، لخصصنا هذه الدّنيا بالكفّار، وجعلنا لهم القصور الشّاهقة المزخرفة، ...والجنّة وما فيها من أنواع الملاذ والنّعم التي يقصر عنها البيان، هي خاصّة بالمتّقين لا يشاركهم فيها أحد"[2].

فلا يغترّ بحال من مدّ الله له في الحياة الدّنيا وهو أشرّ خلقه، وتلك الفتنة يُصاب بها الكثير من النّاس ظنًّا منهم أنّ الدّنيا سباق ملكيّات وحيازة، فيُحِلّ الإنسان لنفسه ما حرّم الله من قروض ربويّة، ورشاوى في الوظيفة، ووساطة لنيل منصب لا استحقاق له فيه .

إنّ التأمّل في هذا الكون للوصول إلى غاية التّوحيد لهو حصن المسلم الحصين، ألم يقل سيّدنا محمّد، عليه الصّلاة والسّلام، فى الحديث القدسيّ عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ("لا إله إلّا الله" حِصني، فمن دخله أمن عذابي)[3].

---

(1)الزخرف ، 33/43-35 .

(2) الصّابوني، صفوة التفاسير،157/3.

(3) القضاعي ، مسند الشهاب ، 323/2، رقم الحديث:1451.

الفصل الثّاني : وسائل غرس قيم التأمّل والتّفكّر والتّدبّر في الطّفل، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترسيم العلاقات بين الطّفل والطّبيعة.

المطلب الثاني: الوسائل الماديّة والمعنويّة التي يجدر بالمربّي اتباعها لإكساب الطّفل مهارات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر.

المطلب الأول: ترسيم العلاقات بين الطّفل والطّبيعة

ويُقصد به: تحديد علاقات الطّفل بالطّبيعة كمكوّن من مكوّناتها الحيويّة الرئيسة. ويمكن تلخيص هذه العلاقات في ثلاث نقاط محوريّة؛ الاندماج في الطّبيعة، والتّركيز في الطّبيعة، والانطلاق في الطّبيعة، عن طريق تعليمه رياضات: السّباحة والرّماية، وركوب الخيل.

ونعتمد في هذا التّرسيم على أحاديث رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، ومنها قوله: "عليكم بالرميِ فإنه خيرُ لعِبِكم "[1] ، و قوله، صلّى الله عليه وسلّم :" كلُّ شيءٍ ليس من ذكرِ اللهِ، عزَّ وجلَّ، فهو لهوٌ أو سهوٌ إلَّا أربعَ خِصالٍ؛ مشيَ الرَّجلِ بين الغرَضَيْن، أيْ مشيَ غرَضٍ، وهو ما يقصِدُه الرُّماةُ بالإصابةِ، وتأديبَه فرسَه، وملاعبتَه أهلَه، وتعلُّمَ السِّباحةِ"[2].

وقد جمع عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، هذه الرّياضات الثّلاثة في قوله: "علّموا أولادَكُم السِّباحة والرِّمي والفروسيّة"[3]. وسنفصّل علاقات الطّفل بالطّبيعة، مع بيان ارتباطها برياضات ؛ السّباحة، والرّماية، وركوب الخيل.

إن التفاعل مع البيئة المحيطة يضمن تعلّمًا افضل لدى الاطفال في سنٍّ مبكّرة، إذ تقول عبير عراج " إنّ التفاعل الإيجابي مع البيئة في سنوات الطّفولة المبكّرة يعدّ جزءًا مهمًّا من النّمو الصّحيّ للطّفل ويحقق التّعلّم مدى الحياة، وقد أكد على ضرورة التّربية البيئيّة العديد من التربويين، ومن بينهم جان جاك

(1) الهيثميّ، مجمع الزّوائد ، حديث رقم(9382)، صحيح.

(2) الهيتمي المكّيّ، الزّواجر، 297/2، حديث صحيح.

(3) المتّقي الهندي، كنز العمّال، 467/4.

روسو... فقد أوصى أنّ التّربية يجب أن تستند إلى الطّبيعة، وتتضمّن الإحساس بالبيئة، ممّا يمنح الأطفال السّعادة والتّعلّم بشكل أفضل، فيتعلّم الطّفل بشكل أفضل من خلال التّفاعل المباشر مع الميحيط البيئي"[1].

وكما تقول ميرفت برعي: " مما دلّت عليه الدّراسات أنّه لا يمكن ترك أمر التّربية البيئية للصدفة أو العشوائيّة، بل لابدّ أن تحتلّ مكانةً مميّزة في السّياسات والخطط والبرامج التّعليميّة"[2]. لذلك كان لزامًا أن نرسّم علاقة الطفل بالطّبيعة من حوله ، وقد تم تحديد هذه الخطوط في ثلاث محاور رئيسية تدعم فكرة إعتماد التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر كطرق فعّالة لتفعيل نظام الإصلاح الذّاتي، وهي؛ الاندماج في الطّبيعة، والانطلاق في الطّبيعة، والتّركيز في الطّبيعة.

أ- الاندماج في الطّبيعة

ويُقصد بها: أن يشعر الطّفل بالاندماج الكلّي في أحد مكوّنات الطّبيعة، مما يعزّز شعوره بالتوحّد مع الكون، كمكوّن من مكوّناتها الكثيرة، وخير ما يعزّز هذه العلاقة رياضة السّباحة، فالماء هو المكوّن الملموس الوحيد الذي يمكن للطّفل الانغماس فيه بكليّة جسده بشكلٍ آمن.

لقد اختصّ الله، تعالى، الماء بأنّه سبب في حياة كلّ شيء مخلوق، إذا يقول في كتابه العزيز: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [3]، وإنّ نفس الإنسان كما جسده، شيءٌ من الأشياء الكثيرة التي خلقها الله تعالى في هذا الكون، ولمّا أثبتت الدّراسات العلميّة دور الماء في الحفاظ

(1) ميرفت برعي،برنامج مقترح لتنمية الوغي البيئي لدى الأطفال بتوظيف بعض الانشطة الفنية والموسيقيّة، ص571.

(2) عبير عراج، دراسة تقويميّة لدور إدارة رياض الأطفال في نشر الوعي البيئي لدى أطفال الرّوضة، ص29.

(3) الأنبياء، 3/21.

على صحّة الجسد وبقائه، وتجديد خلاياه، فإنّ الدّراسات الحديثة أيضًا توصّلت إلى فوائد الماء النّفسيّة للإنسان، فيعدد دريد مجيد حميد الحمداني في كتابه الأسس والمفاهيم العلميّة الحديثة في تعليم وتدريب السّباحة أربع فوائد تنعكس بها السباحة على الصحّة النّفسيّة للإنسان، وهي[1]:

1 – لها فائدة كبيرة في خلق اتجاه إيجابي للحالة النفسيّة، وتساعد في تقليل المشاكل الاجتماعيّة، من خلال الابتعاد عن أعباء وضغط العمل اليومي، فالضّحك والمرح والسّعادة علامات بارزة على وجوه النّاس خلال ممارستهم السّباحة.

2– تُعدّ السّباحة رياضة المتعة والهدوء، فهي من أروع الوسائل لقضاء وقت الفراغ، وإشباع الرغبات، والميول للجماعات والافراد، ورفع الروح المعنويّة ولاسيّما في مواقف الإنقاذ ومساعدة الآخرين.

3– أصبحت رياضة السّباحة في مقدّمة المهارات الحركيّة، وإن ممارستها بانتظام يبعد الكثير من المتاعب والعناء والارهاق، وتعالج القلق والانطواء والكآبة والتّوتر.

4– من خلال رياضة السّباحة تتعمّق العلاقات الاجتماعيّة بين أفراد الأسر عند إسهامهم أو اشتراكهم في النّشاطات التعليميّة أو التّنافسيّة، وتخلق حبّ الخير والعاطفة وحسن التّصرف فيما بينهم، وإدامة التّواصل الأسريّ.

ووفقا لصحيفة (الإندبندنت) الإنجليزيّة، "فإن حوالي (4.1) مليون شخص بالغ في المملكة المتحدة وجدوا أنّ ممارسة السّباحة بانتظام له تأثير إيجابيّ في معالجة أعراض القلق والاكتئاب لديهم،... وعندما سئلوا عن تأثير السباحة على صحتهم النفسية، أجاب 43% منهم بأنها جعلتهم يشعرون بالسعادة، و26% منهم قالوا إنها جعلتهم أكثر تحفيزا، و15% منهم قالوا إنها جعلت من السهل التعامل مع الحياة

(1) دريد الحمداني، الأسس والمفاهيم العلميّة الحديثة في تعليم وتدريب السّباحة، ص 78–79.

اليومية."[1]

ولكي تحقّق رياضة السّباحة الهدف الذي نريدها لأجله، فلابد من أن تُمارس في أحد الأنهار، أو البحيرات، أو عين من عيون الماء الطّبيعية.

فلا يجب التأخّر عن تعليم الطفل هذه الرّياضة الثّمينة، فمن خلالها نأمل أن يحوز جسدًا سليمًا، ونفسًا توّاقة، مهيّأةً لاستقبال المفاهيم الكبيرة التي سنزوّده بها في الفصل التّالي.

ب- التّركيز في الطّبيعة

ويُقصد بها : إعطاء الفرصة للطفل للتّركيز البصريّ على أحد مكوّنات الطّبيعة المحيطة فيه، مما يُساهم في تعزيز قدراته البصرية، والقياسيّة، ما يفرز معرفة أعمق لدى الطّفل فيما يخصّ محيطه الطّبيعيّ.

وخير ما يُستعان به على تلك الغاية، تعليم الطّفل رياضة الرّماية، والرّماية هي: " إصابة الهدف بالبندقية أو المسدَّس أو الرَّشّاش، وهي هواية رياضية وأيضًا من أعمال القتال"[2].

وقد اعتنى الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، برياضة الرّماية عناية بالغة، وخصّها عن سائر الرّياضات بأحاديث كثيرة دلّت على فضلها وفضل تعلّمها ، فعن عقبة بن عامر أنّ النبّيّ، صلّى الله عليه وسلّم، تلا قوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

(1) أميرة عبد الرّازق، هكذا تؤثّر ممارسة الرّياضة على الصّحة النّفسيّة، موقع الكونسلتو،2018/10/13،

https://www.elconsolto.com/psychiatric/psychiatric-news/details/2018/10/13/1443608

(2) انظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 946/2.

وَعَدُوَّكُمْ﴾[1] ثم قال : "ألا إنّ القوّة الرّمي، ألا إنّ القوّة الرّمي، ألا إن القوّة الرّمي "[2].

وقد عدّد موقع (فيت ستامب) الرّياضيّ فوائد عديدة لرياضة الرّمي بالقوس والسّهم، ونذكر منها الفوائد النّفسيّة التي يتحلّى بها ممارس رياضة الرّمي، وهي : زيادة معدّلات التّركيز، والارتقاء بمستويات الثّبات الإنفعاليّ[3] ، والصّبر وقوّة الإرادة.[4]

وتنتشر اليوم ألعاب التّصويب للأطفال في متاجر الألعاب، وكذلك في مدن الألعاب الكهربائيّة، التي تخصّص مساحات مغلقة لألعاب تصويب بالبنادق الالكترونيّة، وغيرها من ألعاب (البلاي ستيشن) المزوّدة ببنادق لاسلكيّة، فليس من الصّعب تعليم الطّفل هذه الرّياضة.

ويُنصح المربّي بتدريب طفله على هذه الرّياضة وممارستها في الطّبيعة، وفي الهواء الطّلق، واختيار أهداف من البيئة المحيطة، كالأحجار وجذوع الأشجار. ويحرم اتّخاذ أي شيء ذو روح هدفًا لتعلّم الرّماية،فقد قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم،" لا تَتَّخِذُوا شيئًا فيه الرُّوحُ غَرَضًا"[1]،أي هدفًا. فالغاية المرجوّة من هذه الرّياضة لتهيئة الطفل، وتمكينه من ممارسة التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر لا تتحقّق إذا ما مورست في الأماكن المغلقة.

---

(1) الأنفال، 60/8 .

(2) مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم (1917).

(3) هو: "أن يكون لدى الإنسان القدرة على التحكم في انفعالاته , فلا تظهر بشدّه، سواءً انفعالات: الغضب أو الغيرة أو الفرح أو الحب، ويظهر بدلاً عنها: الحلم وكظم الغيظ وعدم الاهتمام بصغائر الأمور ونحو ذلك" انظر: محمد شوقي السيد، الثّبات الانفعالي والطّريق إلى السّعادة الحقيقيّة، مجلّة الحوار المتمدّن، العدد:5379، 2016/12/22. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=549344

(4) موقع feet stamp، القوس والسّهم، http://www.feetstamp.com/ar/activity/kids-adults-archery-bow-and-arrow

(5) مسلم ، صحيح مسلم، حديث رقم(1957).

ج- الانطلاق في الطّبيعة

ويُقصد بها: إفساح المجال للطفل للتّماهي مع حركة الكون السّريعة، حيث أن الله، تعالى، جعل لهذا الكون الفسيح صفات عدّة، منها: الحركة الدّائمة المستمرّة، وحيويّة النّمو، وطاقة التّجدّد.

يأخذ الانطلاق في الطّبيعة أشكالًا عدّة، فهناك من يفضّل قيادة الدّراجات الهوائية، والنّاريّة، أو ركوب العجلات والمزالج، والبعض الآخر يفضّل الفروسيّة.

ونحن نفضّل توجيه الطّفل نحو الفروسيّة لعدة أسباب، أوّلها دينيّة؛ فقد ربط الرّسول، صلى الله عليه وسلّم، الخيل بالخير إلى يوم القيامة، حيث جاء في الأحاديث الشّريفة: " رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، يَلْوِي نَاصِيَةَ فَرَسٍ بإصْبَعِهِ، وَهو يقولُ: الخَيْلُ مَعْقُودٌ بنَوَاصِيهَا الخَيْرُ إلى يَومِ القِيَامَةِ: الأجْرُ وَالْغَنِيمَةُ"[1]. فالخيل لها خصوصيّة دينيّة، كما أنّ النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، حثّ على ركوب الخيل، كما بيّنا في مقدّمة هذا الفصل.

وللفروسيّة آثارٌ جمّة على نفس الإنسان بشكل علم، وعلى نفس الطّفل بشكل خاصّ، حيث يقول اختصاصيّ طبّ الأطفال، الطّبيب محمّد علي: "إن ركوب الخيل من أكثر الرياضات الممتعة والمفيدة للأطفال، إذ يعمل على تحسين الذّاكرة، والتّعلّم، وحلّ المشكلات الخاصّة بالأطفال... إضافة إلى تأثيرها الكبير والفعّال على نفسيّة الأطفال حيث تُمدّهم بالهدوء والتّأمّل، كما تنمّي القدرات العقليّة لدى الأطفال، فتعمل على رفع نسبة التّركيز"[2]. إذًا فإنّ رياضة الفروسيّة تساعد الطّفل على الدّخول في حالة من التّأمّل، وهو ما نسعى لإيصال الطّفل له من خلال هذه الدّراسة.

---

(1) مسلم ، صحيح مسلم، حديث رقم(1872).

(2) مروة فتحي، للفروسيّة فوائد صحيّة ونفسيّة على طفلك، موقع النّهار الإخباريّ، www.annahar.com/article/615977

و نشرت "الكلية البريطانية العربية لدراسات الفروسية" مقالًا لها بعنوان " أهمّ فوائد رياضة ركوب الخيل"، وذكرت من ضمن الفوائد النّفسية التي تعود على الإنسان ما يلي[1]:

1- تحفيز التكامل الحسي.

2- تحسين الإدراك البصري للفضاء.

3- تطوير المسؤولية والصبر والانضباط الذاتي.

4- زيادة الثقة بالنفس.

وفي ذات السّياق، فقد كشفت دراسة يابانيّة أجريت مؤخرًا، قام بها باحثون بجامعة "طوكيو للزّراعة" ونشرها موقع فرونتيرز إن بابليك هيلث (الحدود في الصحّة العامة) المتخصص بنشر الدّراسات العلميّة الصحية بنصوصها الأصليّة، كشفت أن:" ركوب الخيل يمكن أن يُحَسِّن القدرات المعرفية لدى الأطفال، ويعزّز مهارات التّعلم، والذّاكرة، وحلّ المشكلات، وأظهرت النتائج التي نشرت أن الأطفال الذين ركبوا الخيل ظهر عليهم تحسُّنٌ كبيرٌ في القدرة على أداء المهام السلوكية والمعرفية، بالمقارنة مع من لم يركبوا الخيول. ووجد الباحثون، أن آثار الاهتزازات التي تنتج عن ركوب الخيول، تؤدي إلى تنشيط الجهاز العصبيّ الودّي أو (السمبثاويّ)، الذي يعزز القدرة على التعلم عند الأطفال"[2].ويُلاحظ أنّ هذه الدّراسة تعزّز رأي محمّد علي، فيما يتعلّق بالعلاقة بين الفروسيّة وقدرات الطّفل الذّهنية، وقابليّة التّعلّم لديه.

---

(1) أهمّ فوائد رياضة ركوب الخيل، موقع الكلية البريطانية العربية لدراسات الفروسية،

https://tinyurl.com/yyja632s

(2) أنظر: Horseback Riding Improves the Ability to Cause the Appropriate Action (Go Reaction) and the Appropriate Self-control (No-Go Reaction) in Children، دراسة يابانية، Front. Public Health, 06 February 2017.

https://doi.org/10.3389/fpubh.2017.00008

وتنتشر في البلدان العربيّة نوادي الفروسيّة، ومنها ما هو مخصّص للأطفال، فلا يحرمنّ والدٌ ولده من هذا الخير العميم، وليبادر كلّ مربٍّ إلى تعليم طفله هذه الرّياضة العظيمة.

فلا بدّ أن نعي أنّ نفس الطّفل كالأرض الخالية، تنبت ما بُذر فيها دون أن تميّز غثّه من سمينه، وطيّبه من خبيثه، يقول الإمام عليّ، رضي الله عنه: "وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته" [1]،ولكي تنبت هذه الأرض طيّب المحصول، لابدّ وأن تُهيّء جيدًا قبل بذر البذور، فتحرث، وتُزال منها الأعشاب الضّارة، ويختار الزّارع أفضل المحاصيل وأجودها. وكذلك حال الطّفل، فلكي نرى النتائج المرجوّة من تربيته لاحقًا، لابدّ وأن نهيّأه لتلقّي أفكار ومهارات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر، وهذه التّهيئة يجب أن تكون مدروسة، وموجّهة لغايات معلومة، وإننا إذ نتحدّث في سياق التفكّر والتّأمّل والتّدبّر، فإنه يتوجّب علينا قبل البدء بإكساب الأطفال هذه المهارة أن نعمل على هذا المحور المهمّ، وهو أن نرسّم العلاقات بين الطّفل والطّبيعة المحيطة به. وهو ما لا يجب على المربّي إغفاله مطلقًا.

وهذه الدّراسة تفترض أنّ المربّي قد أنشأ طفله على التّربية الإسلاميّة الصّحيحة بطبيعة الحال، فالدّراسة مرحلة متقدّمة من التّربية الإسلاميّة.

وللتّذكير: فإنّه على المربّي ابتدار طفله ابتداءً بالتّربية العقديّة الصّحيحة، وأن يدعمها بالجانب العباديّ ، ويطوّعها بالتّربية الأخلاقيّة. يقول الشّيخ البوطيّ، رحمه الله، في كتابة " تجربة التّربية الإسلاميّة": " لابد لكي يظلّ غرس العقيدة قويًّا في النّفس من أن يُسقى بماء العبادة بمختلف صورها وأشكالها، فبذلك تنمو العقيدة في الفؤاد وتترعرع، وتثبت أمام عواصف الدّنيا وزعازعها"[2].

---

(1) محمد عبده ، نهج البلاغة، ص339.

(2) محمّد سعيد البوطي، تجربة التربية الإسلاميّة، ص40.

وختامًا، فقد بيّنّا الطرق العمليّة لترسيم وتحديد علاقة الطّفل بالطّبيعة، انطلاقًا من أحاديث النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وآثار صحابته، رضوان الله، تعالى، عنهم أجمعين، تمهيدًا للبدء بتدريب الطّفل على اكتساب مهارات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر، وهو ما سنفصّله تفصيلًا عمليًّا في الفصل التالي.

المطلب الثاني: الوسائل الماديّة والمعنويّه التي يجدر بالمربّي اتباعها لإكساب الطّفل مهارات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر.

إن المربي الحقيقي ، هو ذلك الذي لا يغفل عن تنمية جوانب الرّوح ومتطلّباتها بنفس الطّريقة التي يهتمّ فيها بتزويد أطفاله بحاجات أجسادهم من؛ مأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن صحيّ، وبنفس الطريقة التي يسعى من خلالها لإشباع عقولهم بشتى المعارف والثّقافات، فيجتهد في اختيار مدارسهم، وكتب مطالعتهم، وبرامج تلفازهم .

وللأسف فإنّ أكثر المربّين يغفلون الجانب الرّوحيّ، و ذلك لأنّ الآباء يسعون لرؤية النتائج الفوريّة لجهودهم التي يبذلونها، ويقيمونها بطريقة محسوسة، إلّا أن الجانب الرّوحيّ، يبقى الأكثر خفاءً وخفّة، ونتائجه تظهر في مواقف معيّنة يلاحظها المتأمّل دقيق الملاحظة، ولو علم الآباء كم ستوفّر عليهم الروح السّليمة من الأسقام والمتاعبَ التي قد يواجهونها في تربية أبنائهم، لتهاونوا في الجوانب الأخرى سعيًا لإدارك ما لا يُدرك بعد حين، مع التنبيه على أنّ التّهاون ليس محمودًا أبدًا على كل الأصعدة، وإنّما ما نقصده تحديد الأولويّات، وتقديم الأهم على المهمّ.

و نتحدّث في هذه الدّراسة في جانب من جوانب الرّوح، ونوع من أنواع غذائها، ألا وهو: التّأمّل والتفكّر والتّدبّر، وقد تطرّق البحث سابقاً إلى شرح آثاره العقديّة والفكريّة والسّلوكية ، والسّؤال الذي يطمح البحث أن يجيب عليه في هذا الفصل هو: ما الوسائل المناسبة لتزيد الطفل بمهارات التفكّر والتّأمّل والتدبّر؟ وللإجابة على هذا السّؤال نقول: توجد وسائل عديدة لغرس مهارات التّأمّل، والتّفكّر، والتّدبّر في نفوس الأطفال، وقلوبهم، وهي:

1- النّزهات القصيرة

ويُقصد بها أن يصطحب المربّي أبناءه في رحلة ترفيهيّة نهاية الأسبوع، أو في أحد أيّام العُطل الرّسميّة، أو في أيّ وقت يستطيع اقتطاعه لتلك الغاية.

هذا النوع من التنزّه يعتبر الأكثر انتشارًا بين الرّحلات التّرفيهيّة، لقلّة تكلفته، وعدم حاجته لإجازات طويلة، ويُفضّل في هذه النّزهات أن تكون في أماكن مفتوحة، وتمتاز بطبيعةٍ خلّابة ، وقرب مجرى نهرٍ أو جدول، أو على قمّة جبل، أو لحديقة حيوانات... وما إلى ذلك ، ولا يغفل المربّي أن يوجه أطفاله لما يلفتهم من هذه المناظر، وما يبعث الدهشة في نفوسهم .

وفي دراسة بعنوان " الفوائد التربوية للرحلة العائلية" تقول الباحثة حنان عطية : " إنّ من فوائد الرّحلات العائليّة أنّها تدفع الأبناء للتّعلّم الذاتيّ، واكتشاف الكثير من الأمور، التي يشاهدونها ويستنتجونها في الرحلة، من خلال الأماكن التي يزورونها، وتوسّع مداركهم، وتقوّي ثقتهم بنفسهم"[1].

2- رحلات التخييم والكشّافة

يقصد بها: أن تذهب العائلة أو الفرقة المدرسيّة في رحلة طويلة نسبيًّا، ما بين(2-5) أيّام، إلى أماكن متنوّعة في الطّبيعة المحيطة، تتناسب مع فصول السّنة، ويعيشون فيها على مدار السّاعة بشكل منفصلٍ عن مظاهر الحضارة.

---

(1)حنان عطيّة، الفوائد التربوية للرحلة العائلية ، موقع المنتدى الإسلامي العالمي للتربية ،2018/5/22.

http://montdatarbawy.com/show/122639

وتمتاز هذه الرّحلات بأنّ الأطفال يضطرون للتّعامل مع مكوّنات الطّبيعة بشكلٍ مباشر، بعيدًا عن تحضّر المدن ، وعن الآلات التي تفقد الطّبيعة بعض معانيها، فيُضطرّ الطّفل إلى اكتشاف قدراته وذاته متماهيًا مع طبيعة المكان الذي يوجد فيه، فيشعر أنّه مكوِّنٌ من مكوّنات هذه الطّبيعة، وعنصر من عناصرها .

وقد خلصت دراسة جديدة شارك فيها(10)آلاف شخص إلى أنّ الأشخاص الذين شاركوا وخاضوا تجربة الكشّافة في طفولتهم، يتمتّعون بصحّة عقليّة أفضل في حياتهم اللّاحقة ، كما وأشارت بيانات الدّراسة إلى أنّهم يكونون أقلّ عرضة للتّوتّر والاضطرابات المزاجيّة بنسبة (15%) عن أقرانهم عند بلوغهم سنّ الخمسين[1].

وأشارت الدّراسة إلى أنّ عددًا من الباحثين من جامعتين في: "إدنبره"، "وغلاسكو" يعتقدون أنّ الدّروس المتعلّقة بالمرونة والتّعامل مع المشكلات، التي وفّرتها فرق الكشّافة والإرشاد لأعضائها، تؤثر إيجابيا وبشكل طويل المدى.

وقال ريتشارد ميتشل من مركز أبحاث البيئة والمجتمع والصحّة بجامعة غلاسيكو –وهو أحد القائمين على الدّراسة– في مقابلة أجراها مع برنامج صباح الخير سكوتلاندا على إذاعة بي بي سي : إنه لم تظهر فوائد مشابهة في أنشطة تطوعيّة أخرى مثل التي ظهرت نتيجة المشاركة في فرق الكشّافة والإرشاد" ، "كما أنكم ستعتادون التغلب على المواقف غير المتوقعة ونحن نعتقد أن هذا قد يكون هو أساس التأثير الذي تتركه المشاركة في فرق الكشافة والإرشاد"،

(1) انظر : تأثير الكشّافة على صحّة العقل "طويل المدى" ، مقالة، bbc العربية ، 2016/11/11 .
http://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-37945717

كما يضيف. وقد أثنت كل من منظمة الكشافة ومنظمة "Girlguiding" في بريطانيا على نتائج الدراسة[1].

3- المبيت في الخلاء

ويقصد به: أن يقضي أفراد العائلة بعض لياليهم في مكان مفتوح، بحيث تكون صفحة السّماء واضحة ومواجهة للنّائم.

ومع أنّ المبيت في الخلاء من أبسط الأمور التي يمكن أن تخطر في بال المرء ، إلّا أنّ النّاس يغفلون عنه أيّما غفلة، ولكنّ النّوم تحت السّماء مباشرة، ودون أيّ سقف، يبعث في الرّوح مشاعر لا مثيل لها، ويلهم النّفس من الإلهام أعجبه و أغربه ، فيشعر الطّفل أنّه أقرب لخالقه؛ فيناجيه ويحدّثه، وأحيانًا يسترسل بخياله إلى جنّات النّعيم، وما أعدّ الله فيها للأطفال من أنواع المتع واللّهو.

ولذلك نجد أنّ كبار السن لديهم عادة النّوم تحت قبّة السّماء، ويتمسكون بها، وخصوصًا سكان الصّحراء والأرياف، كما في "الموسم الصّفري"[1] ففي موسم معيّن يهجر السكان غرفهم ويتوجّهون إلى

---

(1) المصدر السابق.

(2) الموسم الصّفري:" يمثّل دخول نجم سهيل مرحلة مهمة لدى كثير من الدول الخليجية والعربية،فهو يمثل ظاهرة فلكية تلقى اهتمام الكثيرين ومنهم الفلكيون والمزارعون، فما إن يدخل هذا النجم، حتى يطوي كبار السن في الأحساء مراتب نومهم، ويحولونها من الغرف المكيفة المغلقة، إلى سطوح المنازل، في عادة شعبية لم يتناساها جيل كامل من الأحسائيين"،انظر: محمّد رويشد، نومة السطح عادة تتشبث بالحياة وتوصف بطاردة الأمراض ، صحيفة الحياة،2013/8/30. http://www.alhayat.com/article/459088

أسطح المنازل، في منطقة الإحساء في المملكة العربية السّعوديّة، وغيرها كثيرٌ من الشعوب جعلت من النّوم في العراء عادة لها.

إنّ الطّفل إذ ينام تحت قبّة السماء، يستنشق الهواء العليل، بدل النّوم في غرفته التي سرعان ما يصبح جوّها مضغوطًا، وخصوصًا إذا كان يشترك في الغرفة أكثر من طفل، فإنّ النّوم في العراء يعطي فرصة للجسم للتّعرّض للهواء الطّلقأكثر فترة ممكنة.

ولا ننسى أن ننبّه الوالدين إلى ضرورة اختيار الأوقات المناسبة من السنة لعمل مثل هذا النشاط، وتوخّي محاذير السّلامة ، والتّأكّد من أنّ مثل هذه النشاط لن يلحق الضّرر بأي من الأطفال المستهدفين في النّشاط.

فكم شخص منّا يأخذ فراشه وأطفاله إلى سطح بيته، فينامون وهم يتأملون النّجوم ، ويستيقظون على قطرات الندى الخفيفة؟!

4- استثمار مواقف معيّنة لإذكاء فكر الأطفال

ويُقصد به: أن يكون المربّي ذو ذهنٍ حاضِر لتطوير موقف معيّن من موقف عابرٍ إلى قيمة لا ينساها الطّفل، فيُحدث تغيّرًا مقصودًا في طبيعة تفكيره.

تحدث للأسرة أحداث عابرة كثيرة يمكن للآباء استثمارها في تنمية مهارة التفكّر لدى أبنائهم ، فعلى سبيل المثال: إذا سافرت العائلة مستخدمة الطّائرة في سفرها، يستثمر الآباء علوّ الطّائرة عن الأرض، وضآلة المناظر أسفلهم ، فيشعر الطّفل بضآلة حجمه مقارنة بالكون، وبعظيم صنع خالقه .

مثال آخر : في حالة حمل الأم بطفل جديد، لا بأس من اصطحاب أطفالها الواعين معها في زيارة الطّبيب مرّتين إلى ثلاثة مرّات في أثناء فترة الحمل، أو إطلاعهم على صور (الألتراساوند) التي تظهر الجنين، وتطوّره في بطن أمّه ، وهم يتابعون ذلك بما يظهر على الأم من انتفاخ بطنها، وحركة الجنين في أحشائها.

مثال أخير: الشّتاء الأول له وقعه في النّفس ، فحبّذا لو يقف الآباء وأبناؤهم قليلًا تحت المطر ناظرين إلى السّماء، متتبّعين طريقه من السّماء إلى الأرض، مستنشقين رائحة التّراب، ومستشعرين رحمة الله بأرضه.

وتُعدّ هذه الوسيلة، وسيلةً نبويّةً بامتياز، فكثيرًا ما نرى رسول الله، صلّى اله عليه وسلّم، يستثمر مواقف معيّنة لتعليم فكرة محدّدة لأصحابة، رضوان الله تعالى عنهم، ومثال ذلكما رواه عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، قال: "قَدِمَ علَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فألْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أَتَرَوْنَ هذِه المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وَاللَّهِ وَهي تَقْدِرُ علَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا"[1]. في هذا الحديث نلاحظ كيف استثمر النبي، صلى الله عليه وسلّم، مشهد الجارية التي كانت تبحث ملهوفةً عن ابنها الجائع، ليوصل من خلال هذا المشهد صورة رحمة الله، تعالى، بعباده.

(1) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 5999.

5- فكرة ألبوم الخلق

ويُقصد به: تخصيص ألبوم صور، يتم فيه تجميع صور الطفل جنينا، ثمّ صورته لحظة ولادته ، وصورة له في كلّ عامٍ من أعوامه .

الفائدة من هذه الفكرة ، أن يعلم الإنسان مدى ضعفه وحاجته للآخرين، وأن لايتكبّر عليهم، وأنّ حياته محطّات تصل أخيرًا إلى الشّيخوخة والفناء. ولك أن تتخيّل شعور رجل خمسينيّ يتصفّح ألبوم خلقه الخاص .

وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب بطريقة أخرى، حيث صوّر مراحل خلق الإنسان، وقرّب الصّورة إلى ذهن الإنسان، ليعلم مدى ضعفه، وحاجته إلى الله، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

6- الألغاز والفوازير

ويُقصد بها: أن يقوم المربّي بطرح الفوازير والألغاز على الأطفال، بحيث يحرص على اختيار الفوازير التي تحتوي في طيّاتها خدعة لغويّة، أو تحتاج إلى تفكير بشكلٍ مغايرٍ عن المعتاد.

والألغاز من أجمل الطرق التي تعلّم الطّفل التدبّر، والنّظر فيما وراء الكلمات، والغموض الذي يكتنف ما يبدو واضحًا للوهلة الأولى .

---

(1) المؤمنون، 12/23-14.

ولا ننسى أنّ طرح الألغاز سنّة عن نبيّنا محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، حيث جاء في الحديث الشّريف قوله، صلى الله عليه وسلّم: "إنّ من الشّجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنّها مثل المسلم، فحدّثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله بن عمر: ووقع في نفسي أنّها النّخلة، فاستحييت، ثمّ قالوا: حدّثنا ما هي يا رسول الله ؟ فقال: هي النخلة ، قال: فذكرت ذلك لعمر، فقال: لأن تكون قلت هي النخلة أحبّ إلي من كذا وكذا "[1].

كما استخدم الأدباء الألغاز في أشعارهم، ونظم قواعد العلوم المختلفة، فاستحوذت على عقولهم، فلم يخل ديوان منها ، واعتبرت من الفنون الأصيلة التي يجب على الشاعر أن ينظم فيها[2].

ومن الأمثلة على بعض الألغاز: ما هو الشّيء الذي لا يباع بعد العصر؟ أو ما هو الشّيء الذي يكون لونه أخضر عندما يكون في الأرض، ثمّ أسود عندما يباع في السّوق، ولونه احمر عندما يستعمل في البيت؟

مثال أخير: أنت تقف الآن في مفترق طرق، وأمامك طريق يؤدي إلى مدينة الصدق التي لا يكذب أهلها أبداً، والطريق الآخر إلى مدينة الكذب التي لا يصدق أهلها أبداً، ولا توجد علامة تدلك أي الطريقين يؤدي إلى أي مدينة منهما، بينما أنت في حيرة من أمرك، مر بك رجل من سكان إحدى المدينتين، أمامك سؤال واحد فقط تسأله للرجل لتعرف أي طريق يؤدي إلى أي مدينة. سؤال واحد فقط.

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 131.

(2) يُنظر: مطالعات في الشّعر المملوكي والعثماني، شيخ أمين، بكري، ص 176.

وتتنوّع الألغاز ما بين؛ ألغاز لغويّة، وألغاز منطقيّة، وألغاز فكاهيّة، وألغاز رياضيّة، وغيرها الكثير. وتتوفّر في مكتبات الأطفال العديد من كتب الألغاز التي تعين الوالدين على هذا النّشاط، وأيضًا فإنّ الشّبكة العنكبوتيّة غنيّة بالألغاز المصوّرة والمتحرّكة.

7- ألعاب التركيب الصّوريّة (البازيل)

وتعتبر هذه اللّعبة من أشهر ألعاب الأطفال الحديثة، حيث تقوم على تقطيع صورة واحدة إلى قطع صغيرة، يقوم الطّفل بإعادة تجميعها للحصول على الصّورة الأصليّة، وقد تمّ تطويرها حديثًا، فأصبح لدينا (البازيل) ثلاثيّ الأبعاد، والّذي يتطلّب مهارة أعلى في التركيز والبناء الذّهني.

و تمتاز هذه اللعبة عن غيرها من الألعاب في أنها تحتاج تأمّلًا عميقًا في قطع (البازيل) ، وهي تدّرب العين على التّدقيق في الرّؤية ، وتركيب الصّور، ممّا يقوّي قوّة الملاحظة عند الطّفل، ويطوّر جهازه البصريّ بشكلٍ عام

وقد عدّدت سهير حرز الله التي أنشأت موقعًا متخصّصًا في البازيل اثنتي عشرة فائدة للعبة (البازيل) في التّطوّر الذّهني عند الأطفال، ندرجها لكمال الفائدة [1]:

1. اكتشاف العالم من حولهم.
2. تطوير (تآزر عين-يد)[2].

(1) انظر: سهير حرز الله، أهميّة لعبة البازل في التّطور الذّهني، https://sites.google.com/site/sohairpuzzule/12365

(2) تآزر عين- يد :هو عبارة عن الحركات التي تقوم بها اليد ، وتتابعها العين ، كالطباعة على الآلة الكاتبة، أو الحياكة. انظر: تهاني جوارنة، التأصيل الإسلاميّ للأهداف المهاريّة، ص144.

3. تطوير مهارات العضلات الدّقيقة.

4. تطوير مهارات العضلات الغليظة.

5. تطوير وعي الرّياضيات ومهارة حلّ المشاكل، والتّفكير المجرّد.

6. تمييز الأشكال.

7. تحسين الذّاكرة.

8. وضع أهداف صغيرة.

9. البازل أداة للتّعلّم الذّاتيّ والتّفكير النّقديّ.

10. تطوير المهارات اللغويّة عند الطّفل.

11. الاستمراريّة في المهام والشّعور بالإنجاز عند إكمال تركيب القطع.

12. تطوّر الخيال والإبداع.

وما يهمّنا من فوائد (البازيل) السّابقة أنّها: أداة للتّعلّم الذّاتيّ والتّفكير النّاقد، وكونها تطوّر الوعي الرّياضي للطّفل، وتُكسبه مهارة حلّ المشاكل والتّفكير المجرّد، وكذلك فائدتها في الاستمراريّة في المهامّ والشّعور بالإنجاز، بما يخدم هدف الدّراسة في تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ عند الأطفال.

8- مشاركة الطفل في زراعة نبتة

يفضّل في هذا النّشاط زراعة نوع من الأشجار إن أمكن ، و التي تستمرّ مع الطّفل حتى يبلغ سنّ الرّشد ، فتنشأ بين الطّفل والشّجرة علاقة حميمة؛ لأنه يكون على مدار السّنوات الفائتة أولاها اهتمامًا ورعاية خاصّين، ودون أن يشعر يلاحظ تطوّرها وتصرّفها في البرد والحرّ، وأخيرًا يقطف ثمارها، لكن إن

تعذّر الأمر فلا بأس بزراعة نبتة صغيرة ، ويُفضّل أن تكون زهورًا ذات ألوانٍ متنوّعة، وروائحَ مختلفة، لأنّها تشدّ حواسّ الطّفل بشكل أقوى .

ولا يغفل المربّي عن تذكير الطّفل أنّه يزرع هذا الغرس امتثالًا لأمر رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، حيث قال: "إنْ قامَتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةً فإنِ استَطاعَ أن لا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها"[1].

وكذلك يُشعر الطّفل بعظيم أجره؛ لأنّ هذه الشجرة التي زرعها إنّما هي صدقة يؤجر عليها، مصداقًا لقوله، صلّى الله عليه وسلّم: " ما مِن مُلسمٍ يغْرِسُ غرسًا،أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ منه طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كانَ له به صَدَقَة"[2].

ويلاحظ المتأمّل مدى تعلّق الفلّاح بأشجاره وأرضه، فتلك الصّلة ناشئة عن طول العناية والرّعاية لها، فتصبح الشّجرة كواحد من الأبناء، ما يقوّي ارتباط الإنسان بالأرض والتّربة التي كانت أصل خلقه.

9- تربية حيوان أليف

وهي أن يسمح الأبوان للطفل باقتناء حيوان أليف، يعمل على رعايته ومراقبته والقيام بأموره، وتحمّل مسؤوليّته.

---

(1) ناصر الدّين الألباني، صحيح الأدب المفرد،حديث رقم371 ، خلاصة حكم المحدث : صحيح.

(2) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم:2320، صحيح.

ولاشكّ في أنّ تربية الحيوانات تعلّم الإنسان الكثير؛ فالحيوانات الأليفة –غالبًا– كائنات متفاعلة ، تتفاعل مع مربيها، فيرتبط الإنسان بحيواناته ارتباطًا وثيقًا ، وأشعار العرب كثيرة في علاقة الإنسان بفرسه أو إبله أو كلبه، والهدف من هذا النشاط مراقبة الحيوان عن قرب، وإنشاء علاقة ودّيّة تصالحيّة بين الطّفل و الكائنات الحيّة.

نلاحظ أنّ القرآن الكريم تطرّق إلى علاقة الإنسان بكلبه، يقول تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [1] . إنّ هذا الكلب رافق أصحاب الكهف في رحلة فرارهم حتّى أصابه ما أصابهم من نومٍ طويل، وكأنّه واحدٌ منهم.

وقد شجّع النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، الأطفال على اقتناء الحيوانات الأليفة، وحثّ على الإحسان إليها، فها هو الصّحابيّ الجليل أنس بن مالك، رضي الله عنه، يروي فيقول:"كان رسولُ اللهِ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يَدخُلُ علينا، وكان لي أخٌ صغيرٌ، وكان له نُغَرٌ يَلعَبُ به، فمات، فدخَلَ النَّبيُّ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ذاتَ يَومٍ فرآه حزينًا، فقال :ما شأنُ أبي عُمَيرٍ حزينًا؟ فقالوا: مات نُغَرُه الذي كان يَلعَبُ به يا رسولَ اللهِ، فقال: يا أبا عُمَيْر، ما فَعَلَ النُّغَيْر؟ أبا عُمَيْر، ما فَعَلَ النُّغَيْر؟"[1] .

---

(1) الكهف ، 21/18.

(2) شعيب الأرناؤوط، تخريج المسند، حديث رقم:14071 ، صحيح على شرط مسلم.

10- زيارة الأماكن والمعالم الأثرية والمقدّسة

إنّ الأماكن المقدّسة – كما هو معلوم- تريح النّفس والقلب ، وبخاصّةٍ إذا كان لها طابع عمرانيّ مميّز، فهذا الطّفل أكثر ما يعلق في ذاكرته مشاعره الأولى تجاه الأشياء أكثر من أيّ شيءٍ آخر، وجرعات الرّوحانية العالية التي توفرها مثل هذه الأماكن لزوّارها تعتبرها الروح الغذاء الألذّ ، فمَنْ مِنّا ينسى شعوره الأول على عتبات المسجد الأقصى ؟ ومَنْ منّا ينكر تأثير ذلك الشّعور على قوة ارتباطنا وتعلّقنا بذلك المكان المقدّس؟! بل من منا من لم تصبه هزّة غريبة، فتدمع عيناه إذ يقع بصره على بيت الله الحرام؟!.

أمّا الأماكن الأثريّة ، فالهدف من زيارتها الاتعاظ والاعتبار بمصائر الأمم السّابقة ، وتَمثُّل أحوالهم ، ومعرفة سنن الله في الدّول والأمم . وهي وسيلة قرآنيّة، تتكرّر في مواقع كثيرة من القرآن الكريم، يقول الله، تعالى، في كتابه العزيز: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩ ﴾[2] .

إنّ دخول الطّفل مدائن الشّعوب البائدة، وتجوّله فيها معتبرًا بمصائرهم، وقد كانوا أولو بأسٍ شديد، وعمروا الأرض، فيرى قدرة الله، تعالى، فيهم أن أبادهم بظلمهم أنفسهم، وتكذيبهم الأنبياء، فيشعر الطّفل بأنّ جذور التوحيد تمتدّ إلى القديم، وأنّ الله قادر فوق عباده، يعطيهم الفرص، ويرسل إليهم المرسلين، ثمّ

(1) (2) الرّوم ، 9/30 .

يأخذهم أخذ عزيز مقتدرٍ إذا ما أشركوا به شيئًا، فينتج عن ذلك، ان تقع في قلب الطّفل رهبة الله، وإجلاله، وهو ما يخدمه في المستقبل في جانب مراقبة النفس، وزجرها، وتخويفها من عذاب الله.

11- التفكّر في الخطأ

ويكون ذلك بأن يطلب المربّي من الطّفل أن يجلس ويفكّر فيما فعله من خطأ، ويحاول المربّي في التّجارب الأولى مساعدة طفله في التفكير عن طريق طرح بعض الأسئلة على الطّفل على لسان نفسه، مثل: لماذا غضب أبي منّي؟ لماذا يعتبر ما فعلته خطأً؟ هل ما فعلته يُرضي الله، تعالى؟ كيف أعتذر لأبي؟ كيف أصحّح أخطائي؟ وما إلى ذلك من الأسئلة .

أعرف بعض العائلات تخصّص مكانًا للتفكير في الخطأ، كغرفة معيّنة في المنزل، أو أريكة محدّدة لذلك الغرض، ولا يسمح للطفل بالخروج من تلك المساحة إلّا بعد إعطاء إجابات واضحة عمّا قام به من فعل سلبيّ.

وهذه الطّريقة في التّربية تقود الطّفل إلى الدّخول في مرحلة تزكية النّفس باكرًا ، وهو ما نطمح أن نصل إليه مع الطّفل من خلال هذه الدّراسة، حيث يتعلّم الطّفل مساءلة نفسه، وتوعيتها بالعواقب والأضرار المترتّبة على فعلٍ محدّد .

ويجب على المربّي توجيه طفله للوصول إلى الإجابة السّليمة بداية التدريب، وتنبيه الطفل أنّ الله تعالى يريد لنا أن نصل بتفكيرنا السليم إلى الإيمان، وليس كما فعل الوليد بن المغيرة، الذي قاده تفكيره إلى الكفر ، فذكره الله، تعالى، في كتابه العزيز، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ

قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] .

12- التفكّر في الحيوانات وأصواتها

ويقصد به : توجيه حاسّتي السّمع والبصر لدى الأطفال للإصغاء إلى أصوات الحيوانات ، والتّفكّر في أحوالها ، للتّوصّل إلى معنىً معيّن يُراد للطّفل إدراكه.

يقول، تعالى، في كتابه العزيز على لسان لقمان الحكيم إذ ينصح ابنه: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

إنّ أصوات الحيوانات أداة تعليميّة قرآنيّة، فلقمان الحكيم استغلّ صوت الحمار العالي المزعج الذي يستنكره النّاس جميعًا ، فدعا ابنه أن يتفكّر في صوت الحمار، كيف يكون الصّوت المرتفع شنيعًا منكرًا، وبذلك بيّن له فضل غض الصّوت في أثناء التحدّث إلى النّاس.

وعلى خلاف ذلك، فإنّ الأصوات الرّقيقة كتغريد الطّيور ، محبّبة إلى النّفس، ما يجعل الطّفل يميل إلى اللّين والرّقة في حديثه .

وكذلك التّفكّر في حال الحيوانات، يقول تعالى﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ

---

(1) المدّثّر ، 74/18-26 .

(2) لقمان، 31/19.

وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[1]. في معرض الحديث عن قصة بلعم بن باعوراء الذي " الذي علمناه علم بعض كتب الله، فانسلخ من الآيات كما تنسلخ الحية من جلدها، بأن كفر بها وأعرض عنها، .. فمثله في الخسّة والدناءة كمثل الكلب إن طردته وزجرته فسعى لَهَث، وإن تركته على حاله لَهَث، وهو تمثيل بادي الروعة ظاهر البلاغة"[2]. إنّ التّفكّر في حال الكلب، يترتّب عليه موعظة عظيمة، وعبرة كبيرة، عبّر عنها القرآن من خلال قصّة ابن باعوراء.

ويلفت المربّي طفله في أثناء التفكّر في أصوات الحيوانات إلى حقيقة تسبيح الحيوانات لخالقها، فيرتبط ذهن الطّفل بالذكر على أنّه صفة كونيّة، يجب عليه الانخراط فيها كسائر المخلوقات على هذه البسيطة . يقول تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[3].

وللطّفل في أصوات الحيوانات عِبر كثيرة، كصوت القطّة إذ تدافع عن صغارها، ما يذكّر بتضحية الآباء مهما كانت ضآلة الجسم وضعفه، وفي صوت النّحل إذ ينظّم صفوفه للعمل وما فيه من جِدٍّ ونشاط ... وغيرها الكثير.

---

(1) الأعراف،176/7.

(2) الصابوني، صفوة التّفاسير، 482/1.

(3) الإسراء ،44/17 .

13- الذّكر الواعي

ويُقصد به أن يمارس الطّفل ذكر الله مُتفهّمًا ما يقول من ألفاظ، ومُدركًا لحقيقة ما يلفظ لسانه.

إنّ ذكر الله، تعالى، له ثمرة غالية في القلب، فبه ترقّ القلوب، وتلين النّفوس وتخشع، وبه يوقف الإنسان حقيقة عبوديته للواحد الأحد، فيتّصل به اتّصال العارف الذّاكر، وتكون علاقته بربّه علاقة دائمة لا انقطاع فيها، فذكره دائم باللّسان ، حاضر في القلب، فيورثه حبًّا لله لا يراه لغيره، ولايعصيه حبّا فيه، ويطيعه رغبة في المزيد من القرب من جلال الله،تعالى، فحقّ لمثل ذلك القلب أن يظلّه الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، قال: " سبعة يظلّهم الله تحت ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه... وذكر منهم: ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"[1].

وعلى المربّي أن يعرف في قرارة نفسه أنّ الذّكر طريقه الأسهل والأسرع نحو صناعة طفل متميّز، فالحديث واضح في سبق الذّاكرين لغيرهم ، فقد كانَ رَسولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، يَسِيرُ في طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ علَى جَبَلٍ يُقَالُ له جُمْدَانُ، فَقالَ: "سِيرُوا هذا جُمْدَانُ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ، قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ"[2].

يتوجّب على الوالدين تخصيص وردٍ[3] يوميّ من الذّكر مع أطفالهم، ويكون الذّكر بعد تقديم

---

(1) مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم:(1031).

(2) مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم:(2676).

(3)الوِرد هو:جزء من القرآن الكريم أو الذِّكر يتلوه المسلم "يحافظ على قراءة وِرْده اليوميّ من القرآن– قرأت وِرْدي قبل أن أنام، انظر: أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة،2424/3.

مناسب، فلو قرّر الوالدان اختيار اسم من أسماء الله الحسنى ليكون ورد ذلك اليوم، كأن يختارا اسم الله (الرّحمن) فيقدّم الوالدان لأبنائهم مظاهر رحمة الله، تعالى، في الكون، فيما يتلمّسونه من حولهم ، وفيما لا ينتبهون إليه أيضَا، فيعدّدها الأب مظهرًا التّأثّر الذي تُمازجه المحبّة للخالق العظيم، الرّحمن الرّحيم، ثمّ تعدّدها الأمّ بالصّورة نفسها، ثم يطلبا من أبنائهما أن يذكر كلّ منهم اسم الله الرّحمن مستحضرًا ما تحدّث به الوالدان.

وقبل البدء سيطرح الوالدان السّؤال التالي على أبنائهم، والذي يتم التّفكير بإجابته في أثناء عمليّة الذّكر: عدّد مظاهر أخرى لرحمة الله، تعالى.

وبعد الانتهاء من الذّكر، يبدأ الأطفال بذكر ما خطر ببالهم من مظاهر رحمة الله. إنّ هذا السّؤال كفيل بضبط اللّسان مع القلب، وهذه هي المهارة المرجوّة من ترداد الذّكر، والّتي تتحقّق بها ثمرة الذّكر المأمولة.

ومن الفوائد الأخرى للذّكر استغلال الأوراد لعلاج المشكلات النّفسيّة عند الطّفل، فلو كان الطّفل يتّسم بنوع من القسوة والجلافة، نجعل ذكر الأسرة في ذلك اليوم اسم الله (الرّؤوف)، وبعد تبيين اسم (الرّؤوف)، وشرحه بالتّفصيل للأطفال ، يبدأ الذّكر كما أشرنا سابقًا، لكن دون لفت الانتباه لتلك الصّفة في الطّفل المستهدف، وكذلك لو كان الطّفل لا يتحلّى بالشّعور بالمسؤوليّة ، نجعل اسم الله (القيّوم) وِرْد ذلك اليوم، وهكذا دواليك.

ويمكن استخدام الذّكر كوسيلة للمحاسبة الذاتيّة للنّفس عند الأطفال، فلو كان ورد العائلة يومًا ما استغفار الله، تعالى، فينبّه الوالدان أبناءهم أنّهم في أثناء هذا الذّكر عليهم أن يتذكّروا كلّ الذّنوب التي ارتكبوها في يومهم، وأن يستغفروا الله عليها، ويقطعوا عهدًا مع الله أن لا يكرّروا هذا الذّنب مجدّدًا.

وأحبّ أن أشير إلى أنّ الذّكر لا يتوقّف على أسماء الله الحسنى، إنّما يشتمل أيضًا: التّسبيح، والتّهليل، والاستغفار، والصّلاة على النّبي، صلّى الله عليه وسلّم، فحبّذا لو يقصّ الوالدان على أبنائهم بعضًا من السيرة الشريفة، يُتبعونها بالصلاة على النبي، صلّى الله عليه وسلّم، بقلوب تفيض حبًّا له، وشوقًا لزيارته، وتلهّفًا لتتبّع سنّته.

وعلى المربّي أن لا يتهاون في جانب الذّكر تحديدًا، فلا يستصغر ابنه على أيّ من الأذكار، بل يترقّى به من مستوى إلى آخر، فقد روي أنّ سهل بن عبد الله التستريّ[1] قال: "كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار[2]، فقال: لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال: بقلبك، عند تقلبك بثيابك ثلاث مرّات من غير أن تحرّك به لسانك، الله معي، الله ناظري، الله شاهدي، فقلت: ذلك ليالي، ثمّ أعلمته، فقال: قُلْ كلّ ليلة سبع مرّات، فقلت: ثمّ أعلمته، فقال: قُلْ كلّ ليلة إحدى عشر مرّة، فقلته: فوقع حلاوته في قلبي، فلمّا كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علّمتك، ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنّه ينفعك، ثمّ قال لي خالي يومًا: يا سهل، مَنْ كان الله معه ، وناظرًا إليه،

---

(1) التستري هو: سهل بن عبد الله (ت815هـ) أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الاخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. انظر: الزركلي، 143/3.

(2) محمّد بن سوار: البصري ، يروي عن :سفيان بن عيينة، وأبي عاصم النبيل، وغيرهم، ويروي عنه: سهل بن عبد الله التستري. انظر: المزي، تهذيب الكمال،332/25.

وشاهده أيعصيه؟ إيّاك والمعصية. فكنتُ أخلو بنفسي، فبعثوا بي إلى المدينة، فمضيتُ إلى الكتّاب، فتعلّمت القرآن، وحفظته، وأنا ابن ستّ سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدّهر وقوتي من خبز الشّعير اثنتي عشرة سنة"[1].

فأيّن تأخّرنا بأبنائنا عن أولئك النّفر من الصّالحين، بإهمالنا أعظم مكوّناتهم، وأجلّ ما خُلق فيهم؛ الرّوح.

14- تنمية الشّعور الحسّي بالألفاظ القرآنية.

ويُقصد به: تنمية مهارة التّفاعل السّماعيّ مع الألفاظ القرآنيّة، سواءً أكان في جانب التّدبّر في المعنى، أو التّأمّل في التّركيب والانسجام الصّوتي لألفاظ القرآن.

يقول الله، تعالى، في الإشارة إلى انسجام القرآن سماعيًّا : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[2]، إنّ للقرآن وقعًا فريدًا على آذان المستمع إليه، فيؤثّر في قلبه مباشرةً، ومن ثمّ تتفاعل الأجساد مذعنة لتأثيره الجليّ عليها، ويقول تعالى في الحثّ على تدبّر معاني القرآن العزيز:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[3]، إن القلب الذي يرغب عن تدبّر القرآن إلى ما سواه لهو قلبٌ مقفلُ بأقفال من الكبر والجحود، ولو أنهم تدبّروه لوجدوا فيه غاية القلب، ومقصد العقل.

(1) محمّد بن ظفر المكّي،أنباء نجباء الأبناء، ص188.

(2) الزّمر، 23/39.

(3) محمّد ، 24/47 .

إنّ وسيلة تحقيق هذه الغاية تكمن في أكثر من طريقة، وبالتّزامن مع نشاطات أخرى مثل تحفيظ القرآن، ففي أثناء تحفيظ الطّفل إحدى السّور، لابدّ للطفل من السّؤال عن معاني بعض الكلمات، فعلى المربّي تزويد الطّفل بالمعنى الصّحيح للألفاظ، لكن دون أن يكون ذلك بشكل مباشر، إنّما يساعده على استنباط المعنى السّليم .

مثال: قوله تعالى:﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾ [1]، آية يصعب فهمها على الأطفال، وبالتّأكيد هم سيتساءلون عن معناها، وبمقدور الأبناء استنتاج المعنى المراد من خلال التنّاسق الصوتيّ في الآية، أو على الأقلّ، الشّعور بشعور معين تجاه معناها(سلبي_إيجابي)، بالاعتماد على وقع الآية الموسيقي في آذانهم ، وسيتفاجأ الوالدان باقتراب الأبناء من المعنى السّليم، فقط دعوهم يحاولون.

إنّ التّفكر في معاني القرآن وتدبّر آياته، يصبح مع الوقت عادة لا يستطيع الطّفل الاستغناء عنها، ولن يعود بمقدوره ترديد آيات القرآن دون فهم معانيها، وهذا نعايشه يوميًّا مع أطفالنا، الذين هم –بطبيعة الحال–يتساءلون حول الأمور الواضحة، فكيف بمعاني القرآن الكريم؟! ولا يقولنّ قائلٌ، إنّ الطفل أعجز من أن يتأمّل معاني القرآن الكريم، بل وبإمكانه أن يسرح معها ، ويعايشها في خياله واقعًا، وأذكر هنا قصّة داوود الطّائيّ، فيروي صاحب "أنباء نجباء الأبناء" فيقول: "بلغني أنّ أبا سليمان، داود بن نصير الطّائي، رحمه الله، لمّا بلغ من العمر خمسَ سنين، أسلمه أبوه إلى المؤدّب، فابتدأه بتلقين القرآن، وكان لَقِنًا، فلمّا تعلَّمَ سورة **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [2] وحفظها،

(1) العلق ، 15/96.

(2) سورة الملك ،1/76.

رأته أمه يومَ جمعةٍ مقبلًا على حائط، وهو يفكّر ويشير بيده، فخافت عليه، وقالت له: قُمْ يا داود، فاخرج والعب مع الصّبيان، فلم يجبها، فضمّته إلى صدرها، ودعت بالويل، فقال: ما لك يا أمّاه؟ فقالت: أبِكَ بَأسٌ؟ قال: لا، قالت: أين ذهنك؟ كلّمتُك فلم تسمع، قال: مع عباد الله، قالت: فأين هم؟ قال: في الجنّة، قالت: ما يصنعون؟ قال: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤ ﴾ [1] ومرَّ في السورة، وهو شاخصٌ ببصره كأنّه ينظر إليهم، حتّى بلغ قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢ ﴾[2]، ثم قال: يا أمّاه! ما كان سعيهم؟ ، فلم تَدْرِ ما تجيبُهُ به، فقال: قومي عنّي حتّى أتنزّه عندهم ساعة، فقامت، وأرسلت إلى والده، فجاء، فأخبرته الخبر، فقال له: يا داود! كان سعيهم مشكورًا أنّهم قالوا: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، فكان داود بعد ذلك لا يَدَع أن يقول: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"".[3]

نلاحظ أنّ داوود الطّائيّ على صغر سنّه،حيث أنّه كان قد بلغ خمس سنين فقط من العمر، لكنّه استطاع الولوج إلى داخل النّصّ القرآنيّ، والوصول إلى جوهره وحقيقته، لدرجة أنّه أصبح يعيش الآيات واقعًا في يومه، ويتفاعل مع مشاهدها وكأنّه يراها بأمّ عينه.

15- مسرح الظّل

ويمكن تعريفه على أنّه: "مسرح بدائيّ تسلّط فيه ظلال الدمى، بواسطة نورٍ قويّ، على ستارة بيضاء شبه

---

(1)سورة الملك، 76/13-14.

(2)سورة الملك، 76/22.

(3) ابن ظفر، أنباء نجباء الأبناء، ص 160.

شفّافة، ويجلس فيه النّظارة في الظلام، عند الجانب الآخر من السّتارة بحيث لا يرون غير الظّلال، وتصنع الصّور في مسرح الظّلال من: ورق مقوى، أو صفيح، أو جلد، وتكون عادةً ذات أيد وأرجل منفصلة"[1].

وقد شاع هذا الفّن في العصر المملوكيّ، يقول محمّد سلام: "استغله الناس مادّة للتّلهّي والضّحك، وجعلوه متنفّساً لإبراز العيوب، وتضخيم المقابح، أو للتّنفيس عن مشكلاتهم في الحياة وهمومهم بطريقة ساخرة ضاحكة. ويُعدُّ ابن دانيال ... صاحب أوّل نصوص تصل لمسرح خيال الظّل"[2].

وقد ذكر الأبشيهيّ ، في كتابه "المستطرف في كلّ فنّ مستظرف" أبياتًا نظمها صاحبها في مسرح الظّلّ، حيث رأى فيه عبرة لم يلاحظها غيره، فقال[3]:

رأيت خيال الظلّ أعظم عبرة ... لمن كان في علم الحقائق راقي

شخوصًا وأصواتًا يخالف بعضها ... لبعضٍ وأشكالًا بغير وفاق

تجيء وتمضي بابةً بعد بابةٍ ..... وتفنى جميعًا والمحرّك باقي

أي أنّ هذه الشّخوص التي يصنعها صاحب مسرح الظّل تنتهي بانتهاء القصّة، ويبقى محرّكها وصانعها، وفي ذلك إشارة خفيّة إلى الله، تعالى، حيث تفنى كلّ مخلوقاته، ويبقى جلّ جلاله في النّهاية، يقول تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧[4].

(1)أحمد زياد محبك ، من الأسطورة الى القصّة القصيرة ، ص12.

(2) محمّد زغلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي، ص 291.

(3) الأبشيهي، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، ص513.

(4) الرّحمن، 55/26-27.

ويمكن استغلال مسرح الظّل، لتعليم الأطفال مهارات التّأمّل البصريّ، بحيث إنّهم لا يرون سوى ظلال الأشياء فقط، وعليهم تفسيرها، وتحديد كلّ منها، وهذه المهارة هي جوهر عمليّة التّأمّل البصريّ، بالإضافة إلى إمكانيّة الإفادة من هذا النّوع من المسرح في تعليم قصّة معيّنة، أو قيمة محدّدة.

ويمكن دمج مسرح الظّلال بنشاط طرح الفوازير، حيث تقوم شخصيّات الظّلال بتقديم إحدى قصص السّيرة مثلًا، وعلى الأطفال اكتشاف القصّة[1]، وهكذا.

16- استخدام تقنية الواقع الافتراضي(3D) لمحاكاة تجارب معينة يعيشها الطّفل.

وهي وسيلة تتكوّن من عمليّات محاكاة تفاعليّة باستخدام الحاسب الآليّ، تُشعر المستخدم بالمكان والأفعال، وهذه العمليّات مدعّمة بتغذية راجعة صناعيّة لواحدة أو أكثر من الحواسّ، تُشعر المستخدم بالاندماج داخل المشهد.[2]

إنّ هذه التّقنية كانت منذ وقت قريب بعيدة المنال، وصعبة الوصول بالنّسبة لمعظم النّاس، لكن حديثًا أصبحت معظم حدائق الألعاب الكهربائيّة تضم صالات الواقع الإفتراضيّ كنوعٍ من الألعاب والتّرفيه، وبالرّغم من رداءة الإشراف التّربويّ على مثل هذه الألعاب، إلّا أنه بإمكان الوالدين اختيار ما هو أقرب للهدف المطلوب ، فمثلًا يختار الوالدان فيلمًا عن الإقلاع إلى الفضاء، أو الغوص في البحار، أو ما يراه الوالدان مناسبًا لأطفالهما.

---

(1) الفكرة مأخوذة من قناة طه التعليميّة، برنامج: " شو القصّة"

(2) نورة هادي آل سرور ، تقنية الواقع الإفتراضي في التّعليم، أفكار ومفاهيم، مقالة، موقع (تعليم جديد).
https://tinyurl.com/yy9ram8k

وانتشرت مؤخّرًا شاشات الواقع الافتراضيّ، والتي بإمكان الوالدين اقتناء إحداها، إلا أنّ كفاءة صالات الألعاب تُعتبر أكبر، لما توفّره من حركة منسجمة مع الفيديو، بحيث يعيش الطّفل التّجربة كاملة بكامل حواسه، فبعضها يقوم بضخّ الهواء مع تسارع الجسم بما يوحي بالحركة الفعليّه، وبعضها يقوم برشّ الماء إذا كانت المغامرة تحتوي عليه.

إن المربّي الواعي لا ينأى بأبنائه عن مظاهر التكنولوجيا الحديثة، إنّما يستغلّها بما يحقّق أهدافًا مدروسة، ففرصة عيش تجربة مُحدّدة، والطّفل في مكانه، مع ضمان أمانه وسلامته ، تعتبر فرصة ثمينة، يجب على الأبوين استغلالها بشكل جيد جدًّا.

وبما يتوافق مع خطّة سير هذه الدّراسة، للوصول إلى تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ، والذي يتطلّب القدرة على التّعلّم الذّاتيّ، الذي تتعدّده الباحثة نور على أنها ندرج قول الباحثة نورة آل سرور، حول فرصة التّعلّم الذّاتيّ الذّي توفّرة تقنية (3D)، تقول: " يُعتقد أن تكنولوجيا الواقع الافتراضي لها القدرة على تنمية التّعلّم الذّاتيّ المتمركز حول الطالب، عن طريق استكشاف عالم أقرب للواقعية، وأكثر تفاعلية. كما يتمكّن المتعلّم من خلالها من التّحرك والتّجوال داخل المشهد ما يساعده على تنمية قدراته على تصور وفهم وإدراك البيانات العلمية المعقّدة، والتي لا تعطي دراستها بالأبعاد الثنائية الفهم المطلوب، وخاصّة في الموادّ العلميّة"[1]. فإنّ مثل هذه التقنيات أحقّ بصرف المال والوقت من سائر الألعاب التي يملّها الطّفل ، ولا تترك في نفسه أثرًا نتتبّعه لاحقًا.

---

(1) نورة هادي آل سرور ، تقنية الواقع الإفتراضي في التّعليم،أفكار ومفاهيم، مقالة، موقع (تعليم جديد). https://tinyurl.com/yy9ram8k

17- اصطحاب الطّفل إلى سوق الأسماك والطّيور والفاكهة

إنّ لاصطحاب الطّفل إلى سوق الخضار والفواكه أثرٌ كبير في إثراء حسّ التفكّر لديه، فهو إذ يرى الأصناف تصطفّ بجانب بعضها بعضًا، بل ويتفرّع من كلّ صنف أنواع كثيرة، وألوانٌ شتّى، وأطعمةٌ مختلفة، فإنّه يشاهد عظمة صنع الخالق، الذي أتقن كلّ شيءٍ خلقه، وجعل ذلك الخلق آية لقوم يعقلون، يقول تعالى:﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾ [1].

وما ينطبق على الفاكهة والخضر، ينطبق أيضًا على الأسماك والطّيور وباقي الحيوانات. فيرى الطّفل أصناف الأسماك، كبيرها وصغيرها، منها الملوّن بأكثر من لون ، ومنها ذو اللون الواحد، منها ما له أنياب كبيرة ، ومنها من لا يحتوي عليها ، وغير ذلك الكثير.

يسير الطّفل مع أبيه في السّوق، فيقوم الأب بلفت انتباه الطّفل إلى الفروق والاختلافات بين مخلوقات الله، يرفق ذلك بالتّسبيح والتّعظيم لله، عزّ وجلّ، فلا يكون التّسوّق مجرد واجب أسري يقوم به الأب، بل يتحوّل التّسوّق إلى حلقة تعليميّة تستثيرّ حواسّ الطّفل كلّها، فينتج لنا أخيرًا طفل لا يغفل عن رؤية قدرة الله، تعالى، حيثما وجّه بصره من حوله، فتقع هيبة الخلق في نفسه تجاه أشياءٍ يراها النّاس عاديّة.

---

(1) الرّعد، 4/13.

18- لعبة الصّمت:

إنّ الصّمت أساس عمليّة التفكّر والتّدبّر، فلا تُؤتي هذه العمليّات أُكلها في جوٍّ من الضّوضاء، بل على الإنسان الاختلاء بنفسه، في جوٍّ من الهدوء والسّكينة، لكي يتمكّن من الإبحار في هذا الكون ابتداءً، وانتهاءً الغوص إلى أعماق ذاته الخفيّة.

وقد ثبت أنّ النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، كان قبل البعثة يختلي بنفسه لأيّام طويلةٍ في غار حراء، يمضيها في التّفكّر في هذا الكون، باحثًا عن صانعه، متلمّسًا خطى الموحّدين في إدراك وحدانيّته.

وللصّمت فضائل عديدة، فقديمًا قالوا: "إذا كان الكلام من فضّةٍ، فالسّكوت من ذهب"، وجاء في الحديث الشّريف إن التّروّي في الحديث عاصمٌ للإنسان من الوقوع في الآثام، فقد روى الحارث بن هشام أنّه قال: يا رسولَ اللهِ حدِّثْني بأمرٍ أعتصِمُ به قال:" املِكْ عليك هذا، وأشار إلى لسانِه"[1].

أمّا الإمام الشّافعيّ، رضي الله عنه، فيعتبر الصّمت معينًا للإنسان على الكلام الحقّ، فالإنسان بذلك يعطي نفسه فرصة لتقييم مقالته قبل خروجها من فمه، يقول الشّافعيّ، رضي الله عنه،: " استعينوا على الكلام بالصّمت، وعلى الاستنباط بالفكر "[2] .

أمّا عن كيفيّة إكساب الأطفال هذه المهارة ، فيطرح محمّد مرسي فكرة لعبة الصّمت في كتابه"موسوعة القيم" حيث يقول: " اطلب من ابنك أن يجمع بعض أصدقائه ، وقم بتنظيم مباراة لكرة القدم

---

(1) الهيثمي، مجمع الزّوائد، حديث رقم(18167).

(2) الغزالي ، إحياء علوم الدّين، 425/4

فيما بينهم، على أن تكون مباراة صامتة، لا يتحدّث أحد أثناءها أبدًا، وإلّا خرج من المباراة لمدّة دقيقتين، وهذه تعلّمهم كظم الغيظ وضبط النّفس" [1].

ونحن ننصح الآباء بتخصيص غرفة أو زاوية من البيت، تكون محلًّا لاختلاء الطّفل بنفسه وربّه، ولا بأس من تحديد نصف ساعة صمت يوميًّا في البيت، بحيث يُمنع جميع أفراد الأسرة من الكلام خلالها، وهذا التّمرين سيساعد الأطفال في تعلّم فضيلة الصّمت، والتّفكير الدّاخليّ.

19- لعبة التّخيّل:

إنّ تحفيز الخيال أسلوب قرآنيّ تعليميّ، يهدف إلى تقريب الصّورة إلى الأذهان، ليصبح التّفاعل معها أكبر، والتّأثّر بها أعمق .

يقول سلمان العودة: "والقرآن يسوق القصص والوعد والوعيد بمفردات وتعبيرات وأوصاف تحفز الخيال، وترسم ملامح المشهد الغائب وكأنه حاضر مشهود، كما في وصف الفريقين في سورة الزمر: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ ﴾ [2] "[3].

---

(1) محمد مرسي، موسوعة القيم، 267/1.

(2) الزّمر،69/39.

(3) سلمان العودة، تجربة التّخيّل القرآني، موقع الدّكتور سلمان العودة،2015/6/19. http://www.islamtoday.net/salman/artshow-28-210816.htm

ويصف تجربته في التّخيّل القرآنيّ فيقول: " ثمَّ خيال يكشف لك المستقبل، ويستدعيه في صور تظل تلح عليك، وتفعل فعلها في وجدانك وشخصيتك"[1].

لقد حبا الله، تعالى، الطّفل بخيال واسع جدًّا، وذلك لمساعدته على التّعلّم، فالخيال يرسّخ الأفكار، فالطّفل يتخيّل موقفًا ما ثمّ يصدّق حدوثه بالفعل، لشدّة تأثير الخيال فيه.

لعبة التّخيل : هي أن يقوم الأب بطرح موقف ليتخيّل الطفل نفسه فيه، أو استغلال موقف يحدث أمام الطّفل وسؤاله: ماذا لو كنت مكان هذا الطّفل؟!

مثلًا: حين يسير الأب برفقة طفله، فيشاهدان طفلًا فقيرًا يبيع على قارعة الطّريق، يبادر الأب بلفت انتباه الطّفل إلى المشهد، ثمّ يذكّره بنعم الله، تعالى، عليه أن أغناه عن العمل صغيرًا كهذا الطّفل، ثمّ يطرح السّؤال على طفله بشكل عفويّ : تخيّل أنّك مكانه، فما الذي سينقص من حياتك الحاليّة؟ إنّ هذا السؤال يساعد الابن على تأمّل حال هذا الطّفل الفقير بشكل أعمق، فربّما لا يذهب إلى المدرسة، وربّما ليس لديه ثوب جديد، أو حذاء جيّد، ربما لا يأكل طعامًا معيّنًا، كلّ هذه الأسئلة ستدور في خلد الطّفل، مشكّلة معرفة أعمق في الحالة التي أمامه، وهو ما نريد للطفل أن يتوصّل إليه، بمعنى آخر: أن لا تعود المشاهد اليوميّة مشاهد إعتياديّة، إنّما يجد الطّفل في كلّ مشهد يراه درسًا وعبرة.

ويمكن استغلال الظّرف السّياسيّ الذي نعيشه كشعب فلسطينيّ في هذا السّياق، فمثلًا: هنالك مشاهد كثيرة تنتشر على وسائل الإعلام يتمّ فيها اعتقال الأطفال الصّغار، يستطيع الأب أن يوجّه ابنه لتخيّل نفسه مكان هذا الطّفل، كيف سيتصرّف، وكيف سيشعر؟

---

(3) المصدر السابق.

20- تتبّع المشاعر والأحاسيس

ونقصد به: تشجيع الطّفل على وصف مشاعره وأحاسيسه، والتّعبير عنها في مواقف معيّنة، وتجاه قضايا محدّدة.

إنّ هذه المهارة تحتاج إلى الغوص في أعماق النّفس، فالطّفل حين يشعر بالخوف أو الفرح أو الغيرة مثلًا يبدأ يتصرّف تصرّفات معيّنه، ربّما تكون مزعجة للآباء، إلّا أنّ تعديل السّلوك عن طريق مهارة تتبع المشاعر والأحاسيس سيوفّر الكثير من عناء الشّرح الذي سينساه الطّفل بسرعة.

فمثلًا، إن كان الطّفل يتشاجر مع أخيه الأصغر بشكل دائم، ستقوم الأم بإرسال الطّفل الأصغر إلى بيت جدّه لمدّة يوم كامل، ثمّ تبدأ بملاحظة سلوك طفلها الأكبر في المنزل، سيبدو عليه الملل والشّعور بالانزعاج، حينها تحاوره، وتسأله عن سبب ضيقه، بحيث تجعله يتوصّل إلى أنّ سبب ما هو فيه من ضيق إنّما هو غياب أخيه عنه، فيبدأ الطّفل بالتّعبير عن الشّوق لأخيه ، وعن مدى حبّه له، وبذلك تكون الأم اختصرت عليها شرحًا -غالبًا -لن يستوعبه الطّفل الصّغير.

ويمكن استعمال هذه المهارة لتعزيز قيم معيّنة عند الأطفال، فمثلًا في حال المرور بجانب قوة من الجيش الإسرائيلي، يسأل الأب طفله عن شعوره تجاه هؤلاء المحتلّين، كذلك عند زيارة المسجد الأقصى يسأله عن شعوره أثناء تواجده في ساحات المسجد الأقصى.

ويمكن استخدام هذه المهارة في حلّ بعض المشكلات اليوميّة البسيطة، فيقترح محمّد مرسي أن "نسأل الطّفل عن شعوره بعد تنظيم وتنظيف الغرفة"[1] ، فسيجيب أنّه يشعر براحة شديدة وفرح. وكذلك عن شعوره بعد أخذ حمّام دافىء، مما يشجّعه على النّظافة البدنيّة.

إن هذه التّمارين وإن كانت الغاية الظّاهريّة لها حلّ بعض مشاكل الطّفل، إلّا أنها في الواقع، تمرّنه على الاستماع لنفسه، ومراقبة مشاعره وانفعالاته، وهذه إحدى غايات التأمّل والتّفكّر والتّدبّر، والتي سيتفيد منها الطّفل لاحقًا في تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ.

22- تأمّل في صور معيّنة

مع انتشار أدوات التّصوير، وإتاحتها لكل الناس، عبر تزويد الهواتف المحمولة بكاميرات ذات جودة عالية، أصبحت الصّور تملأ وسائل الإعلام ، ومواقع التّواصل الاجتماعيّ، واستطاع بعض المصوّرين التقاط صورٍ بديعة، تظهر جمال الخلق حينًا، وأحوال النّاس حينًا آخر، وأكثر الأحيان لا نصادف إلّا صور الحروب والمجاعات للأسف .

ومع تطوير تقنية تحوير الصّور والتّعديل عليها عن طريق بعض البرامج، كبرنامج متجر الصّور (phototshop) استطاع بعض المبدعين صناعة صور ذات معانٍ وعبرٍ كثيرة.

وما أسهل أن يعرض المربّي لطفله بعض الصّور المنتقاه بدقّة ، ثم يسأله عن رأيه فيها، أو بماذا أوحت له الصّورة. ويطرح محمّد مرسي فكرة تأمّل الصّور كأسلوب لغرس القيم على امتداد كتابه (موسوعة

(1) محمد مرسي، موسوعة القيم، 518/1.

القيم) المكوّن من مجلّدين، فيقول مثلًا: " اطلب من ابنك أن يضع تعليقًا على صورة النّبتة التي تخرج فيها من الأرض الجرداء، الخالية من الماء" [1].

مثال آخر: يقول مرسي: "اطلب من ابنك أن يضع تعليقًا على صورة القطّة التي ترى نفسها في المرآة أسدًا" [2].

إن محاولة الطّفل استخراج معانٍ خفيّة في صورة أمامه تحتاج منه تفعيل طاقته الذهنيّة، لفهم الصّورة ومن ثمّ التّعليق عليها من وجهة نظره، إنّ هذه المهارة تصبّ في لبّ مهارات ؛ التأمّل، والتّفكّر، والتّدبّر، التي نسعى لإكسابها لأطفالنا من خلال هذه الدّراسة.

أختم هذا الفصل بقولٍ يُنسب للإمام عليّ بن أبي طالب،كرّم الله وجهه، إذ يقول: " أشفقوا على أبنائكم من كثرة إشفاقكم عليهم"[4]، فهنا يشير عليّ، رضي الله عنه، إلى خطورة الشّفقة الزائدة على الأبناء، فعلى الوالدين أن يَعِيَا خطورة الدّور الذي أوكلهم الله، تعالى، به، فلا يقع في نفسه استصغار ابنه على أيّ وجه ممّا ذكرناه سابقًا، إنّما يشجّع ابنه على تخطّي العقبات، ويشجّع نفسه وشريكه بتمثّل النّتائج المميّزة التي يطمحان أن يرياها في ابنهما، وعليهما أن يتحصّنا بالصّبر والدّعاء أن يوفقهما الله، تعالى، في تربية أولادهما، وان يمدّهما بالصّبر والجلد، وليكن شعار ربّ الأسرة: " مضى عهد النّوم يا أبنائي"[4].

---

(1) المرجع السابق، 167/1.

(2) المرجع السابق، 138/1.

(3) القول ينسب إلى سيدنا علي ابن أبي طالب، انظر: محمّد صالح المنجد، صفحة الشِيخ محمّد صالح المنجد الرّسميّة على facebook، المنشور بتاريخ:2013/11/13. www.facebook.com/almunajjid/posts/10151984039775409

(4) مقتبس من حديث يُنسب إلى النّبيّ، صلى الله عليه وسلّم، انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن،3744/6.

الفصل الثّالث: تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال بعد تزويدهم بمهارات التأمّل والتّفكّر والتّدبّر.

المطلب الأول: النّقد الذّاتيّ.

المطلب الثّاني: التّحفيز الذّاتيّ.

المطلب الثّالث: العقاب الذّاتيّ.

المطلب الرّابع: التّقييم الذّاتيّ.

المطلب الخامس: التّنبّؤ الذّاتيّ.

المطلب الرّابع: التّرقية الذّاتيّة.

تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال بعد تزويدهم بمهارات التّفكّر والتّأمّل والتّدبّر.

إن هذا البحث يقدّم بين يديّ القراء فرضيّة جديدة في التربية ، تتلخّص في قدرة الطفل على تربية ذاته وتطويرها عند تزويده بمهارات التفكّر والتدّبّر والتّأمّل، وتأتي هذه الفرضيّة استنباطًا من قول سيّدنا عليّ، كرّم الله وجهه: " لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم "[1] . أي؛ اهتمّوا بتزويدهم بالمهارات الّتي تكفل الحفاظ عليهم مهما تغيّرت الظروف والأزمنة والمشكلات من حولهم، والتي تمكّنهم من تمييز الغثّ من السّمين، والصّالح من الطّالح، وحصّنوهم بالقدرة على الحفاظ على جوهرهم الإسلاميّ الرّبانيّ.

إننا إذ نعيش في عصر التّكنولوجيا، والتّقدّم المعلوماتي الهائل، نجد فيما ابتكره الإنسان من حواسيب وأجهزة وروبوتات نظامًا يسمى " نظام الإصلاح الذاتي" ، ويعني أن لكل جهاز القدرة على تشخيص ما يعتريه من خلل فايروسي ومعالجته ، وترقية نفسه إلى إصدارات أرقى وأكثر تطورًا.

فإذا كان صنع البشر يحتوي هذا النّوع من الأنظمة المعقّدة والمذهلة ، فهل يكون صنع الله، تعالى، أقلّ شأنًا؟! بالطّبع لا، ونلاحظ ذلك في الأنظمة البيولوجيّة الحيويّة في جسم الإنسان، فهذا الجسد مزوّد بنظام تعقّب للأجسام الغريبة والقضاء عليها، وكذلك بإمكانه الكشف عن الخلايا التي تنحى منحىً مخالفا عن سائر خلايا الجسد ، فيحاصرها ويقضي عليها كذلك، كما أنه مزوّد بالقدرة على تجديد الخلايا الميته، وإصلاح الأنسجة التالفة، والتّكيف مع كلّ الظّروف البيئية والمناخية التي قد يوضع فيها هذا الجسد، كذلك فهو يطوّر نظم حماية دقيقة تقي الجسم من أي ميكروب أو فايروس متطوّر. فتبارك الله

---

(1) محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، 5936/20.

أحسن الخالقين.

وإذا تأمّلنا مدى اهتمام الله، عزّ وجلّ، بجسد الإنسان ، الذي هو في النّهاية محض وسيلة لمساعدة النفس البشرية على تأدية مهمّاتها في هذه الأرض، فما هو إلّا ثوب من أثوابها، نجد أنفسنا نطرح السّؤال التالي: هل تخلو النفس البشرية إذًا من نظام إصلاح ذاتيّ ، وهي الجوهر والأساس والغاية والمقصد؟!

إنّ الإجابة بالقطع لا ، فالله، عزّ وجلّ، زوّدنا بنظام إصلاح ذاتيّ، عماده الإيمان الحيّ ، وما يجعل الإيمان حيًّا في القلوب هو الترقّي من التفكّر والتّأمّل في خلق الله، تعالى، إلى التّفكّر في النّفس وفهم الذّات، يقول تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾[1]، ولم يغفل كبار العلماء والأولياء عن مثل هذه المهارات، بل وألفوا فيها كتبًا قيّمة في تزكية النفس وتربيتها وإخضاعها والسيطرة عليها، لكن الجزئيّة الّتي غفل عنها المربّون، والتي لم أجد أحدًا يتكلّم فيها في الماضي أو الحاضر هي أن الأطفال –أيضًا– بإمكانهم استخدام نظام الإصلاح الذّاتيّ، الذي أودعه الخالق فيهم، فلم أجد من ألّف في هذا الموضوع بحيث يفسر آلياته ووسائله، أو ينبه المربين إلى وجود مثل هذا النّظام أصلًا لدى أطفالهم.

إنّ تفعيل هذا النّظام سيوفّر على الأبوين عناء خوض معركة المراهقة مع أولادهم، و قلقهما الدّائم على أطفالهما من المجتمع المحيط وتغيّراته، فإنّ الطّفل المزّوّد بالقدرة على التفكّر في محيطه ابتداءً، والذي ترقىّ إلى التأمّل في ذاته ، والمزوّد بالتربية الإيمانيّة اللّازمة ، أصبح قادرًا على إصلاح نفسه، بل والتّرقّي بها، بالطّبع سيكون بدايةً بالتّعليم من قبل الأبوين، وبعد ذلك ستكون العمليّة تحت إشرافهما فقط.

---

(1) الذاريات، 21/51.

وسنتحدّث في هذا الفصل عن أهم المهارات التي يتضمّنها نظام الإصلاح الذّاتي في الطّفل، وهي:النّقد الذّاتي، والتّعزيز الذّاتي، والعقاب الذّاتيّ، والتّنبّؤ الذّاتي،والتّقييم الذّاتيّ، والتّرقية الذّاتية.

1- النّقد الذّاتيّ

ويُقصد به: يُقصد به: "تقييم فرد معيّن أو جماعة معيّنة لذاته أو لذاتها"[1] . أي تزويد الطّفل بالمهارات اللّازمة لتشخيص أفعاله وتصنيفها، صحيحة كانت أم خاطئة، والكشف عن الخطأ لديه ، والوعي به وبعواقبه.

إنّ هذه المهارة يمارسها أولادنا يوميًّا أمامنا ، إلا أننا نغفل عن توظيفها بما يخدم الطّفل ذاته، فكم من مرّة انتقد الطّفل فيها أبويه، بل ونصحهم وبيّن لهم الشّرّ المتحقّق من هذا الخطأ، بالطّبع فإنّ هذا النقد مبنيّ على المعلومات التي زوّدها الوالدان للطّفل في مرحلة التربية الإيمانيّة ، أو من خلال انتقاد الطّفل من قبل الأبوين سابقًا على ذات الخطأ.

إنّ الطّفل شديد الملاحظة بطبعه، فكيف إذا كان ممن اكتسب مهارات التّفكّر، فزادت من قوّة ملاحظته، وسرعة بديهته في تصنيف الأفعال والأقوال التي يشاهدها ؟!

على الأبوين في هذه المرحلة توجيه الطفل إلى التّفكير في أخطائه اليوميّة، عن طريق تخصيص غرفة في البيت إن أمكن، أو إحدى الزوايا، لجعلها مكانًا للخلوة مع النّفس، إنّ هذا المكان ليس خاصّا فيه بالطّفل وحده، بل يمارس فيه كل أفراد الأسرة ذات العمل، ويستطيع الأبوان استغلال موقف ما تصرّف

(1) صبري محمد خليل، النّقد والنّقد الذّاتي فيمي، المفهوم القيمي الإسلامي، موقع الرّسمي للدكتور صبري محمّد خليل، https://drsabrikhalil.wordpress.com/2013/11/11

أحدهما بسوء ، مثل أن يكون أحدهما صرخ عاليًا على الطفل أو قام بتعنيفه أمام الآخرين ، فتذهب الأم أو الأب أمام أطفاله إلى تلك الغرفة ، ويقول بحيث يتأكّد أن الطفل يسمعه " أنا ذاهب لأحاسب نفسي" هنا لابد للطفل أن يتبع والده بدافع الفضول، فيسمع الطّفل والده وهو يتحدّث إلى نفسه بصوتٍ عالٍ: " أنا أشعر بضيق شديد، صرخت على طفلي أمام النّاس، إنّ ذلك سبّب له الألم الشّديد، وهذا يغضب الله تعالى، وسوف يحاسبني عليه، لابد أن أعتذر منه ، ولن أكرر ذلك أبدًا، وإن كرّرتها، فسأعاقب نفسي بشده".

يختار المربّي كلماتٍ واضحة، وجملًا بسيطه، يضمن أن يفهمها طفله، ثمّ يبدأ بالإستغفار ، وكلّ ذلك على مرأى ومسمع الطفل، ويذكّر الأب أطفاله بفضل الاستغفار، فهاهو النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، من غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، يستغفر الله سبعين مرّة في اليوم، فكيف بنا ونحن المحاسبون الخطّاؤون؟! يقول صلّى الله عليه وسلّم:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم وَتُوبُوا إِلَيْهِ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةَ مَرَّةٍ"[1].

لو افترضنا أنّ الطّفل لم يلحق بوالده، ولم يستمع لحديثه مع نفسه، هنا ينتقل المربّي إلى الخطّة التالية، وهي أن يستدعي ابنه ويجلس معه على انفراد في ذات المكان، ثم يحدّثه بما فعل، ويشرح له تمامًا كما لو أنّ الطّفل كان يشاهده، ويعتذر منه.

وعلى الأبوين أن لا يتحرّجا من الاعتذار من طفلهما إن أخطأ أحدهما بحقّه، فتلك سنّة سيد الخلق محمّد، صلّى الله عليه وسلّم ، فعن واثلة : أن رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم، خرج على عثمان

(1) ابن حجر، الأمالي المطلقة، 255، صحيح.

بن مظعون ومعه صبيٌّ له صغير يلثمه، فقال: له ابنك يا هذا؟ قال: نعم. قال: أتحبه يا عثمان؟ قال: إى والله يا رسول الله إنى أحبه. قال: أفلا أزيدك له حبًّا؟ قال: بلى، فداك أبي وأمّي. قال: إنه من ترضّى صبيًّا له صغيرًا من نسله حتّى يرضى ترضّاه الله يوم القيامة حتى يرضى.[1]

إنّ الأطفال مولعون بتقليد آبائهم، فسيجد الأب طفله قد بدأ بتقليده تمامًا، وربّما يذهب إليه فيحدّثه بأنه فعل مثله حين ارتكب الذّنب الفلانيّ، فعلى المربّي تشجيعه، والإطراء عليه، وفي ذات الوقت تذكيره أن الإعتراف بالخطأ يكون بين يدي الله، تعالى، ولا بأس إن لم يخبره في المستقبل بذلك مرّة أخرى.

نستطيع القول بكلّ ثقة أن الطفل يستطيع تصنيف أفعاله في سنٍّ مبكّرة، ونستطيع اعتبار تلك القدرة المهارة الأولى الضّرورية التي يبدأ الطفل من خلالها بالتّعامل مع مشكلاته الذّاتيه وتقييمها.

يوضّح المثال القادم قدرة عبد الله بن الزّبير على تصنيف أفعاله، وهو الطفل حديث السنّ، ففيما يُروى عن عمر بن الخطّاب،رضي الله عنه، أنه اجتاز بصبيان يلعبون في الطّريق، فهربوا إلا واحدًا منهم يُدعى عبدالله بن الزبير، فقال له عمر: لِمَ لم تفِرّ مع أصحابك؟ فردّ عليه: لم يكن لي جُرم فأفرّ منك، ولا كان الطّريق ضيّقًا فأوسع عليك" [2].

إنّ هذا المثال ليس دليلًا فقط على قدرة الأطفال غلى تصنيف أفعالهم، بل تعدّاه إلى قدرته على اتّخاذ موقف بناءً على ذلك التصنيف، حتّى وإن كان من حوله يتصرّفون بشكل مغاير، إنّ الوعي بالذّات حرّر عبد الله بن الزّبير من الإنسياق وراء عقليّة القطيع الجمعيّة، والتي يسلك الفرد بموجبها سلوك

---

(1) المتّقي الهندي، كنز العمّال،363/52.

(2) ابن ظفر المكّي، أنباء نجباء الأبناء، ص87.

الآخرين من حوله دون وعي. ويُعدّ المثال التّالي أنموذجًا لعدم الإنصياع لضغط الأقوى، إنّه العناد المبنيّ على الوعي بالذّات وتصرّفاتها، وهو عناد صحيّ، ينمّ عن شخصيّة ثابتة لا تهتزّ بسهولة، فقد روى

الإمام أحمد بن حنبل، رضي الله عنه،" أنّ أبا هريرة، رضي الله عنه، دخل مرّة المسجد يوم الجمعة، فوجد غلامًا، فقال له: يا غلام، اذهب العب. قال: إنما جئت إلى المسجد. قال له: يا غلام، اذهب العب. قال: إنما جئت إلى المسجد. قال: فتقعد حتى يخرج الإمام؟ قال: نعم. وكأنه خشي أن يلعب في المسجد في أول الأمر فلما تأكّد من أنه جاء لقصد العبادة تركه"[1].

وفي هذا المثال، قيّم الشّيخ الشّعراني فعله الخاطىء، وعدّله مباشرة، فيقول الشّيخ عبد الوهّاب الشّعرانيّ، رحمه الله: " كان من صورة ما وقع لي وأنا صغير أنّي تفكّرت يومًا في الله، عز وجل، فقسته على ما أتعقّله ، ثم صرفته بـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2]"[3]. يقصد آيات مثل قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم﴾[4] ، وغيرها من الآيات التي قد تشتبه على الصّغار.

نلاحظ من الأمثلة السّابقة مقدرة الطّفل على تمييز أفعاله، صحيحة كانت أم خاطئة، ويستطيع بناءً على هذا التّمييز أن يتخذ مواقف قويّة ومؤثرة، مبنيّة على قناعته بفعله. وهذا ما نطمح له بالفعل.

---

(1) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل،190/16.

(2) الشّورى، 11/42.

(3) النبهاني، شواهد الحق ، ص 169.

(4) الفتح، 10/48.

2- **التّحفيز الذّاتيّ:**

يُقصد به:" شحن وتقوية مشاعرك وأحاسيسك الدّاخليّة، التي تقودك إلى تحقيق أهدافك أو تسهّل عليك القيام بها"[1].

ويكون ذاك، بتبصير الطّفل بمزاياه، ونقاط قوّته، وبمعنى كونه مسلمًا عبدًا لله، محفوظًا بحفظه، لا يصيبه إلّا ما كتب الله له، وقد زوّد رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، الصّحابيّ الجليل، عبد الله بن عبّاس، رضي الله عنه، بمثل هذه التّبصرة، فقال له:"يا غلامُ إني مُعَلِّمُكَ كلماتٍ؛ احفظِ اللهَ يَحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَكَ، وإذا سألتَ فلتسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمّةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يَضروك لم يَضروك إلّا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ عليك، رُفعتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ"[2].

لنتأمّل المثال التّالي، ونلا حظ كيف أنّ التّعبئة الإيمانيّة أصبحت حافزًا للصّبر، دون تذمّر أو شكوى، فقد دخل أحد الصّحابة مسجد رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، في وقت الصّلاة فوجد غلامًا لم يبلغ من عمره العاشرة قائمًا يصلّي بخشوع، فانتظر حتّى انتهى من صلاته، فجاء إليه، وسلّم عليه، وقال له : يا بنيّ، ابنُ مَنْ أنت؟ فطأطأ الغلام رأسه، وانحدرت دمعه على خدّه، ثم رفع رأسه وقال : يا عمّ، إنّي يتيم الاب والام، فرقّ له الصّحابيّ، وقال له: يا بنيّ، أترضى أن تكون ابنًا لي؟ فقال الغلام: هل إذا جعتُ تُطعمني؟ قال: نعم، فقال الغلام: هل إذا عريتُ تكسني؟ قال : نعم، فقال الغلام : هل إذا مرضتُ تشفني؟

---

(1) مصطفى نمر، تحفيز العاملين في ضوء نظم معدّلات الأداء، محاضرة مكتوبة، جامعة المنيا، مركز التّدريب.
https://tinyurl.com/y2te7qnk

(2)أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، 233/4.

قال الصّحابي: ليس إلى ذلك سبيل يا بنيّ! قال الغلام : هل إذا متُّ تحيني؟ قال الصّحابي: ليس إلى ذلك سبيل ! قال الغلام : فدعني يا عمّ لـ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ ﴾ [1]. فسكت الصّحابيّ، ومضى لحاله وهو يقول: آمنت بالله، من توكّل على الله كفاه"[2].

نلاحظ أنّ هذا الطّفل يمتلك من الوعي ما يمكّنه من خوض مصاعب هذه الحياة بنفس صابرة، وروح متوكّلة تمام التّوكّل على الله، عزّ وجلّ، يُعزّي نفسه بأن الله رازقه ووليّه، ويرى في ولاية الله خير من موالاة البشر.

مثالٌ آخر ، يروي صاحب المستطرف فيقول: "دخل الحسن بن الفضل[3] على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم، فأحب الحسن أن يتكلم، فزجره وقال: يا صبي تتكلم في هذا المقام؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت صبيا، فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان، عليه السلام، حين قال: ﴿أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾[1]، ثم قال: ألم ترَ أنّ الله فهّم الحكم سليمان، ولو كان الأمر بالكِبَر لكان داود أولى"[2]. فإنّ معرفةّ الحسن بن الفضل بالقصص القرآني مع سرعة بديهته لم تزعزعه في

---

(1) الشعراء، 26/78-82.

(2) سعيد عبد العظيم، الأتقياء الأخفياء، ص 116.

(3)الْحسن بن الْفضل بْن الْحسن بْن عَمْرو بن أُميَّة الضمرِي من أهل الْمَدِينَة يَرْوِي عَن أَبِيه رَوَى عَنهُ مُحَمَّد بن إِسْحَاق ، انظر: ابن حبّان، الثّقات، 6/160.

(4) النّمل، 27/22.

(5) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص56.

حضرة الخليفة، ولم يتراجع بعد أن اعترض الخليفة على تحدّثه لصغر سنّه.

مثال أخير: يُروى أنّه: "لمَّا أفضت الخلافة إلى عُمر بن عبد العزيز، أتته الوفود، فإذا فيهم وفد الحجاز، فنظر عُمر إلى صبيّ صغير السّنّ وقد أراد أن يتكلم، فقال : ليتكلمْ مَنْ هو أسنُّ منكَ فإنّه أحقُّ بالكلام، فقال الصّبي : يا أمير المؤمنين إنّما المرء بأصْغَرَيْهِ ؛ قلبه ولسانه، فإن منح الله العبدَ لسانًا لافِظًا، وقلبًا حافظا، فقد استحقّ الكلام . فقال له عُمر : صدقت! "[1] نلاحظ أنّ معرفة الطّفل بقدراته، شكّلت حافزًا له أمام الخليفة للحديث وعدم التّراجع، فمعرفته أنّه يمتلك لسانًا بليغًا، وأنّ بمقدوره لفت انتباه الخليفة بكلامه، شكّلت الحافز الذّاتيّ لديه.

إنّ تكوين الحافز الدّاخليّ في الطّفل تقع مسؤوليّته على المربّي الفطن، فكما أسلفنا، حين يبصّر المربّي طفله بمزاياه، ونقاط قوّته، وبمعنى كونه مسلمًا عبدًا لله، محفوظًا بحفظه، لا يصيبه إلا ما كتب الله له، فإنّه يكون بذلك قد سلّحه بالشّجاعة والإرادة، والتي سيستحضرها في المواقف الصّعبة.

3- العقاب الذّاتيّ

ويقصد به : "أن يُترَك الطفل يتحمل نتائج سلوكه السيئ حتى يرتدع على أن لا يكون هناك خطرٌ عليه من تحمّلِه نتائجَ هذه التصرفات الخاطئة"[2].

---

(1) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص56.

(2) سحر المصري، ضرب الأبناء وسيلة بناء أم هدم، موقع صيد الفوائد، https://saaid.net/daeyat/sahar/45.htm

يطرح جاسم المطوّع أسلوب "اختيار العقوبة" كطريقة لمحاسبة الطّفل من دون تعنيف، أو تسلّط، ويوضّحها فيقول : " فكرة هذا الأسلوب أن نطلب منه الجلوس لوحده ، فيفكّر في ثلاث عقوبات يقترحها علينا، مثل :الحرمان من المصروف، أو عدم زيارة صديقه هذا الأسبوع، أو أخذ الهاتف منه لمدة يوم، ونحن نختار واحدة منها لينفذها على نفسه وفي حالة اختيار ثلاث عقوبات لا تناسب الوالدين، مثل: أن يذهب للنوم، أو يصمت لمدة ساعة، أو يرتب غرفته، ففي هذه الحالة نطلب منه اقتراح ثلاث عقوبات غيرها"[1] .

ويوضّح أهمّيّة هذا الأسلوب، فيقول موجّهًا حديثه للأمّ: "عندما تقولين لابنك: اذهب واجلس لوحدك، وفكر بثلاث عقوبات، لأختار أنا واحدة منها لأنفذها عليك، فإنّ هذا الموقف هو تأديب في حّد ذاته، لأنّ فيه حوارًا نفسيًّا بين المخطئ وهو الطفل وذاته، وهذا تصرّف جيّد لتقويم السّلوك، ومراجعة الخطأ الذي ارتكب، وهو وقفة تربوية مؤثرة"[2].

ويمكن اعتبار فكرة جاسم المطوّع السّابقة خطوة أولى على طريق إيصال الطّفل لمرحلة العقاب الذاتي، والتي يستطيع الطّفل من خلالها تحديد العقوبة الملائمة، وإلزام نفسه بها.

وعلى الأبوين أن يكونا حذرين في هذا الجانب، فمن المهم توعية الطّفل بالحفاظ على سلامته، وعدم إيذاء نفسه، وحبّذا لو يُزوّد الأبوين أطفالهم بقائمة من العقوبات الآمنة، والتي يضمن الابوان من

(1) جاسم المطوع، أسلوب ذكي لمعقبة الأبناء، صحيفة النّبأ اللكويتية، 2013/3/4

https://www.alanba.com.kw/kottab/jassem-almotawwea/364912/04-03-2013

(2) المصدر نفسه.

خلالها سلامة طفلهم، وعدم لجوئه إلى عقوبات مؤذية، كحادثة الطفل الصينيّ، التي هزّت الصّحافة العالميّة ، حيث ورد الخبر "أنّ طفل (صيني) في التّاسعة من العمر غرز أربع إبر في معدته ليعاقب نفسه لأنّه حقق 99% من العلامة في امتحانه، بدل علامة 100 كاملة"[1].

يوضّح من هذا الخبر الصّادم ارتباط ضعف النّقد الذّاتي، وعدم وجود حافز داخليّ لدى الطّفل، بالقرار الخاطئ في اختيار العقوبة، مما أدّى بالطفل إلى قراره معاقبة نفسه بطريقة بشعة جدًّا، فلم يستطع تقييم أن علامته ممتازة، ولم يحفّز نفسه بأنّه طالب مجتهد، بل لجأ إلى جلد ذاته، وبالتالي معاقبتها بقسوة.

4- التّقييم الذّاتيّ

أي: "أن يقوم الشخص الذي أدى عملا ما بمراجعة ذاته بعد إنهاء ذلك العمل، ليرى مدى ما حققه من أهداف مرسومة سلفا، وما هي المخرجات والمنتجات التي خرج بها، وما هي الصعوبات التي واجهتْه، وكيف تغلب عليها"[2].

لننظر إلى حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: "يا بُنَيَّ، إنّ قَدرتَ أن تُصْبِحَ وتُمْسيَ ليسَ في قلبِكَ غشٌّ لأحدٍ فافعَلْ، ثمَّ قال لي: يا بُنَيَّ، وذلكَ مِن

(1)لأنه حصل على 99% .. طفل يعاقب نفسه بطريقة بشعة، صحيفة دنيا الوطن،2013/3/2.
https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2014/03/02/502488.html

(2) هلال البريكي، مهارات التّقييم الذّاتيّ للمعلّم الأول، وزارة التربية والتعليم العمانية،المديرية العامة للتربية والتعليم بمحافظة الباطنة شمال، دائرة تنمية الموارد البشرية- قسم العلوم الإنسانية، وحدة اللغة العربية.

سُنَّتي، ومَن أحيا سُنَّتي فقَد أحياني ، ومَن أحياني – وفي روايةٍ فقَد أحبَّني ومَن أحبَّني – كانَ معي في الجنَّةِ"[1]. نلاحظ من الحديث السّابق المنهج النّبويّ في تدريب مالك على مراقبة نفسه وتقييمها، فيتحسّس قلبه، هل به غشٌّ لأحد، ويكرّر هذا التّمرين صباحًا ومساءً، فأسلوب النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، بلغ أعلى درجات الرّقيّ.

عن وكيع أنه قال: " قالت أم سفيان لسفيان: يا بني: اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، قالت له: يا بني، إن كتبت عشرة أحرفٍ فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك"[2].

ولننظر إلى عبقريّة هذه المربّية النّاصحة، إنّها تطلب من ابنها تتبّع أثر ما تعلّمه في نفسه، وتقييمه لنتائج هذا التّحصيل، فإن لم يجد فيها زيادة في الخشية والحلم والوقار، فلا خير فيه، بل إنّها مضرّةٌ، لما فيها من إضاعة للوقت.

إنّ إكتساب الطّفل مهارة تقييم ذاته مهمٌّ جدًّا، إذ يستطيع من خلالها تزويد نفسه بالتّغذية الرّاجعة، والتي تساعده على اتخاذ القرار الأصوب، وتعينه على اكتشاف نقاط ضعفه وإصلاحها.

ويتحقّق ذلك بتمرين الطّفل على تقييم نفسه كما في المثال السّابق، فمثلًا يطلب المربّي من طفله تقرير أيّ أساليب تحفيظ القرآن يستجيب لها بشكل أسرع، التلقين الجماعيّ مثلًا، أم الحفظ الفردي؟! وما إلى ذك ممّا يواجه الطّفل في المدرسة أو غيرها.

---

(1) الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم(2678).

(2)الجوزي، صفة الصفوة، 110/2.

5- التّنبّؤ الذاتيّ

ونقصد به: قدرة الطّفل على توقّع نتائج أفعاله، و نتائج اختباراته العلميّة والحياتيّة، والأحداث الجارية، بناءً على أسس منطقيّة مدروسة.

إنّ التنبّؤ الذّاتيّ يعتبر مرحلة متقدّمة من مراحل تفعيل نظام الإصلاح الذّاتي، حيث تتطوّر قدرة الطّفل الذّهنية إلى بناء النتائج ، وصياغة التّوقّعات، مما يجعله مستعدًّا لموجهة لمواقف بشكل أكبر .

يروي سمرة بن جندب فيقول:" أتَتْ بي أُمي المدينةَ فخطَبَها الناسُ، فقالَتْ : لا أتزوجُ إلا برجلٍ يَكفلُ لي هذا اليتيمَ ، فتَزوجَها رجلٌ منَ الأنصارِ، وكان رسولُ اللهِ، صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ، يَعرضُ غِلمانَ الأنصارِ في كلِّ عامٍ، فيُلحقُ مَنْ أدركَ منهم، قال : وعرضْتُ عامًا فألحقَ غلامًا وردَّني , فقلْتُ : يا رسولَ اللهِ , لقد ألحقْتَهُ وردْتَني ولو صارعْتُهُ لصرعتُهُ . قال : فصارعْهُ . فصارعْتُهُ فصرعتُهُ فألحقَني"[1].

نلاحظ كيف أنّ سمرة استطاع توقّع غلبة خصمه، بالرّغم من أنّه يفوقه جسمًا أو عمرًا، ولمّا غلب عليه ظنّه أنّه سيكسب التّحدّي، بادر إلى الطلب من رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، أن يختبر قدراته بشكل عمليّ.

أمّا المثال التّالي ، فيمثّل حالة معاكسة؛ فعن عامر بن سعد، عن أبيه قال: "رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، فيستصغرني فيردّني، وأنا أحبّ الخروج لعلّ الله يرزقني الشّهادة، قال: فعُرض على رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، فاستصغره ، فقال: ارجع .

(1) الذّهبي، المهذب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي ،3528 .

فبكى عمير، فأجازه رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم"[1].

نلاحظ من المثال السّابق أنّ عميرًا بن أبي وقّاص توقّع إرجاع النّبي، صلّى الله عليه وسلّم، له عن القتال، لضآلة حجمه، وقد صدق توقّعه، لولا أنّ دموعه شفعت له.

إنّ التّنبّؤ الذّاتيّ مهارة تُكتسب مع الوقت، وإنّ ما أسلفناه سابقًا معين على ذلك، ويمكن تدريب الأطفال على مهارة التّوقّع بطرق عدّة، منها ان يقصّ المربّي قصّة على الطّفل، ثمّ يطلب منه وضع نهاية متوقّعة ومنطقيّة لها.

6- الترقية الذاتيّة

ونقصد بها: تمكين الطّفل من تطوير ذاته، والترقّي بها من مستوى فكريّ لآخر. من خلال زيادة وعيه بقدراته، وغاياته.

إن هذه التّرقية نتلمّسها في معاملاتنا اليوميّة، فما أن ينجز الطفل مهمّته الموكلة إليه، حتّى يطالب بمهمّة أصعب، مثلًا : لو أتمّ حفظ جزء عمّ، سيطالب بنفسه أن يبدأ بحفظ جزء تبارك، وذلك لأنّ الطّفل يسعى دائمًا إلى المزيد من الإطراء ، وإثبات الذّات.

إنّ قصة معاذ ومعوذ ابني عفراء وقتلهم أبي جهل، خير مثال نضربه على ذلك، فقد انتدبا نفسيهما لقتل أبي جهل بالرّغم من صغر سنّهما: يقول عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه: " إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذِ التَفَتُّ، فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ، فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا، إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ: يَا عَمِّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: عَاهَدْتُ اللَّهَ

(1) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 149/1.

إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ، فَقَالَ لِي الآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ، قَالَ: فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا، فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ، فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ "[1].

ويروي الشّيخ ابن ظفر المكّي، أنّ" أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطاميّ، رحمه الله، لمّا تَحَفَّظَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [2]. قال لأبيه: يا أبت، مَنْ الذي يقول الله تعالى له هذا؟ قال: يا بني، ذلك النّبي، قال: يا أبت، مالك لا تصنع كما صنع ، صلّى الله عليه وسلّم ؟ قال: يا بني! إن قيام الليل خُصّص به، صلّى الله عليه وسلّم، وبافتراضه دون أمّته، فسكت عنه. فلمّا تحفّظ قوله سبحانه:﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ [3]، قال: يا أبتِ، إنّي أسمع أنّ طائفة كانوا يقومون الليل، فمَنْ هذه الطّائفة؟ قال: يا بني! أولئك الصّحابة، رضي الله عنهم، قال: يا أبت، فأيّ خير في ترك ما عمله النبي، صلّى الله عليه وسلّم، وأصحابه؟ قال: صدقت يا بني. فكان أبوه بعد ذلك يقوم من اللّيل ويصلّي، فاستيقظ أبو يزيد ليلة، فإذا أبوه يصلّي، فقال: يا أبتِ، علِّمني كيف أتطهّر وأصلّي معك، فقال أبوه: يا بني، ارقد فإنّك صغير بعدُ، قال: يا أبتِ، إذا كان يومُ يصدر النّاس أشتاتًا لِيُرَوْا أعمالهم أقول لربّي: إنّي قلتُ لأبي: كيف أتطهر لأصلّي معك؟ فأبى، وقال لي: ارقد، فإنّك صغير بعد، أتحبّ هذا؟ ، فقال له أبوه: "لا والله يا بني ما أحبّ هذا"، وعَلَّمه فكان يصلي معه"[4].

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم(3988).

(2) المزّمل،37/1-2.

(3)المزّمل،37/20.

(4) بن ظفر المكّي، انباء نجباء الابناء، ص150.

إنّ هذه القصّة، تظهر لنا كيف أنّ طفلًا صغيرًا، ارتقى بنفسه من كونه يتلقى النّصح، إلى أن أصبح لأبيه ناصحًا امينًا، فقد اتّبع سجيّته في تقليد الصّالحين، فتبيّن الغثّ من السّمين، وسلك مسالك السّابقين الأوّلين.

وفي قصّة ثانية، فيها من العجب والجراءة الشّيء الكثير، فقد" رأى الإمام أبو حنيفة غلامًا يلعب بالطّين، فقال له: يا غلام، إيّاك والسّقوط في الطّين، فقال الغلام للإمام: إيّاك أنت من السقوط، لأنّ سقوط العالِم سقوط العالَم . فكان أبو حنيفة لا يفتي بعد سماع هذه الكلمة إلّا بعد مدارسة المسألة شهرًا كاملاً مع تلامذته"[1]. فهذا الغلام رأى نفسه أهلًا لأن ينصح عالمًا عظيمًا، بل إنه كان يُلقّب بالإمام الأعظم في زمانه، لكنّ ذلك لم يمنعه من التّرقي إلى المستوى الذي يُسدي فيه النّصح لعالم كبير!

أمّا سهل بن عبد الله التستري، والذي تطرّقنا إلى قصّته مع خاله وكيف علّمه الذّكر، ثمّ بعد ذلك انطلق في مراتب التّرقّي وحده، يروي ابن ظفر بإسناده ان " سهل التستريّ ذكر الله وهو ابن ثلاث سنين، وصام وهو ابن خمس، وساح في طلب العلم وهو بن تسع سنين، وكانت تُلقى مشكلات المسائل على العلماء ثمّ لا يوجد جوابها إلا عنده، وهو ابن اثنتي عشرة سنة"[2].

إن مرحلة التّرقية الذّاتيّة هي أرقى مراتب تأديب النّفس، وأنها نتيجة حتميّة لما سبقها من مهارات، فأن يكون طفلك قادر على نقد ذاته، ومن ثمّ يحفّزها ويعاقبها، يقيّمها ويقوّمها، ويتنبّأ بنتائج جهوده، فيترقّى بأقلّ نسبة مخاطرة، إنّ ذلك لهو الفوز المبين في ميدان التّربية.

---

(1) عبد الباسط السيّد، المنهج النّبوي في تربية الطّفل، ص84.

(2) إبن ظفر المكّي، انباء نجباء الابناء، ص146.

الخلاصة:

إنّ نظام الإصلاح الذّاتيّ نظام أودعه الخالق العظيم في النّفس البشريّة، بحيث تصبح مسؤولة أمام الله، تعالى، عن أفعالها، خيرها وشرّ.

وقد درس المربّون هذا النّظام منذ زمن بعيد، منهم مَنْ سمّاه التّصوّف، ومنهم مَنْ سمّاه التّزكية، فلا خلاف لدى علماء الدّين أنّ الإنسان ببلوغه سنّ الرّشد يصبح قادرًا على تربية نفسه والقيام بأمورها.

إن هذه الدّراسة تخصّ الأطفال كبيئة للبحث، ولقد توصّلت من خلال الأدلّة العقليّة، والنّقليّة، والمشاهدات اليوميّة، أنّ هذا النظام ليس نظامًا خياليًّا، بل إنّه يرتكز على أرضيّة علميّة متينة، ربّما يحتاج إلى المزيد من البحث والدّراسة، وإجراء التّجارب الإحصائية، للوصول إلى نتائج نهائية.

ومع ذلك، فإنّ من حقّ أولادنا علينا أن لا ندّخر جهدًا في تربيتهم تربية حسنة، وتزويدهم بالمهارات الحياتيّة الضّروريّة للحفاظ عليهم من آفات المجتمع، وفتن الحياة المتتالية، والتي تتطلّب بناءً متينًا لصدّها.

الخاتمة

الحمد لله، تعالى، الذي وفّقني في إنهاء هذه الدّراسة في التّأمّل والتّفكّر والتدبّر ، وبيان دورها في تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال، وقد توصّلت الدّراسة إلى عدّة نتائج ، أهمها:

1- أن التأمل يختلف عن التفكر والتدبر ، لكنّه في الوقت نفسه يتداخل معهما .

2- للتأمّل والتّفكّر والتّدبر آثار واضحة على عقيدة الفرد وفكره وسلوكه.

3- أن مهارات التّفكّر والتّأمّل والتّدبّر إنّما هي مهارات مكتسبة ، يمكن غرسها وتنميتها في النفوس بسهولة ، وبممارسات بسيطة .

4- أنّ رياضة السّباحة، والرّماية، وركوب الخيل، رياضات مهمّة، لها دور فعّال في مساعدة الطّفل وتهيئته للاستفدة من مهارات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر.

5- إنّ أقصر الطّرق وأضمنها لتفعيل نظام الإصلاح الذاتيّ في الطفل، هي إكتسابه مهارات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر.

6- يتضمّن نظام الإصلاح الذّاتي لدى الأطّفال، ستّة مهارات، هي ثمرة هذا البحث، وهي:النّقد الذّاتي، والتّعزيز الذّاتي، والعقاب الذّاتيّ، والتّنبّؤ الذّاتي، والتّقييم الذّاتيّ، والتّرقية الذّاتية.

7- أنّ هذا النظام ليس نظامًا خياليًّا، بل إنّه يرتكز على أرضيّة علميّة متينة.

وتوصي الدّراسة بثلاث توصيات، هي:

1- إيلاء هذه المهارات إهتماماً أكبر وأوسع على الصّعيد الفرديّ والأسريّ والمنظوميّ، كما أنّ نظام الإصلاح الذّاتيّ بحاجة إلى المزيد من البحث والدّراسة، وإجراء التّجارب الإحصائيّة، للوصول إلى نتائج نهائيّة.

2- ضرورة اهتمام المربّين الأفاضل بالجانب الرّوحيّ لدى الطّفل، وتقديمه على سائر الجوانب الأخرى.

3- ضرورة أن تتبنّى المؤسسات الحكوميّة والخاصّة، التعليميّة والتّربويّة، هذا النّظام المقترح، وأن تضع منهاجًا تربويًّا متكاملًا يساعد المربّين على خوض هذه االتّجربة.

وختامًا، أسال الله، تعالى، أن أكون قد وُفقت لما يُحبُّ ويرضى، وأن أكون قد أسهمت ولو بالقليل بالارتقاء بالفكر التّربويّ لدى المسلمين، وأن يلقى هذا البحث قبولًا في صدور القرّاء الأعزّاء إذا ما كان فيه خيرهم وسدادهم، وأن يغفر الله لي، ويتجاوز عنّي تقصيري في أداء حقّ العلم، على الوجه الذي يرضاه، وصلّ اللهمّ وبارك على سيّد الخلق أجمعين، وخاتم النّبيين، وقائد الغرّ المحجّلين، وألحقنا بهم في الصّالحين، بكرمك وعفوك يا أكرم الأكرمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أوّلًا :المصادر

1- الأبشيهي، شهاب الدّين محمّد(ت852هـ)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1419هـ.

2- الأزدي، محمد بن الحسن (ت321هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق رمزي بعلبكي، ط1، بيروت: دار العلم للملايين،1987م.

3- الأصبهاني ، ابو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ)،**المنتقى من مكارم الاخلاق ومعانيها للخرائطي**، تحقيق محمد مطيع وزميله، دمشق: دار الفكر، 1406هـ.

4- الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 577هـ)، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط3، الأردن: دار المنار،1985م.

5- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير الناصر، ط1، بيروت: دار طوق النّجاة، 1422.

6- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، **صحيح الادب المفرد**، تحقيق ناصر الدين الألباني، ط4، دار الصديق للنشر والتوزيع، 1997م.

7- التّرمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت 279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق بشار معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م.

8- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب(ت 255هـ)، **البيان والتبيين**، بيروت: دار الهلال،1423هـ.

9- الجرجاني ، علي بن محمد(ت 816هـ) ، **التعريفات** ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م.

10- الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، **صفة الصفوة**، تحقيق حمد بن علي، القاهرة: دار الحديث، 2000م.

11- الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عطا، ط4، بيروت: دار العلم للملايين،1987هـ.

12- ابن حبان، محمد بن حبان (ت 354هـ)، **الثّقات**، ط1، حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، 1973م.

13- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت 852هـ)، **الأمالي المطلقة**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1995.

14- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت 241هـ)، **المسند**، تحقيق شعيب الارناؤوط، ط1، مصر: مؤسسة الرسالة،2001م.

15- الذّهبي ، أحمد بن الحسين(ت 748هـ)،**المهذب في اختصار السنن الكبير**، تحقيق ياسر ابو تمّام، ط1، دار الوطن،2001م.

16- السّفاريني، عبد القادر الدومي الحنبلي، **شرح كتاب الشهاب في الحكم والمواعظ والآداب**، تحقيق نور الدين طالب، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1428هـ-2007م.

17- الطبري، محمد بن جرير(ت 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 2000م.

18- ابن ظفر، محمّد بن أبي محمد المكّي (ت 565هـ)، **انباء نجباء الأبناء**، ط1، مصر: دار التقدم، د.ت.

19- ابن عاشور،**محمد** الطاهر بن محمد(ت 1393هـ)، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية، 1984م.

20- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395هـ)، **الفروق اللغوية**، القاهرة: دار االعلم والثقافة، د.ت.

21- الغزالي ، محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، **إحياء علوم الدين** ، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

22- الغزّي، محمد بن عبد الرحمن (ت 1167هـ)، **ديوان الإسلام**، تحقيق سيد حسن، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1990م.

23- القضاعي، محمد بن سلامة (ت 545هـ)، **مسند الشهاب**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد، ط2، بيروت: دار الرسالة، 1986م.

24- المتقي الهندي، علي بن حسام الدين ابن قاضي خان (ت 975هـ)، **كنز العمّال**، تحقيق بكر حياني وزميلته، ط5، دار الرسالة، 1981م.

25- مرتضى الزبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت 1205هـ) ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، بيروت: دار الهداية، د.ت.

26- المزّي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت 742هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق بشار معروف، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980م.

27- مسلم، مسلم بن الحجاج (ت 261هـ)، **الصحيح**، تحقيق محمد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

28- إبن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت711هـ)، **لسان العرب** ، ط3 ، بيروت : دار صادر ،1414هـ.

29- النبهاني، يوسف بن إسماعيل ، **شواهد الحق**، تحقيق عبد الوارث علي، ط3، بيروت: دار الكتب االعلمية، 2007م.

30- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري (ت 370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق محمد مرعب، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م.

31- الهيتمي ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر (ت 974هـ)، **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ط1، دار الفكر، 1987م.

32- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت 807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق حسام القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي، 1994م.

33- الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد (ت 468هـ) ، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وزملاؤه، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1994م.

ثانيًا : المراجع

1- بدري، مالك، **التّفكّر من المشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية**، ط 4، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي،1995م.

2- برعي، ميرفت، **برنامج مقترح لتنمية الوعي البيئي لدى الأطفال بتوظيف بعض الأنشة الفنية والموسيقية**، دراسة مقدمة للمؤتمر العلمي الاول لكلية التربية النوعية في جامعة المنصورة ، 2006م.

3- البوطي، محمد سعيد رمضان البوطي(ت1434هـ)، **تجربة التربية الاسلامية**، ط1، دار الفارابي، 2018م.

4- البريكي، هلال االبريكي ، **مهارات التّقييم الذّاتيّ للمعلّم الأول**، وزارة التربية والتعليم العمانية،المديرية العامة للتربية والتعليم بمحافظة الباطنة شمال، دائرة تنمية الموارد البشرية- قسم العلوم الإنسانية، وحدة اللغة العربية ، دورة تدريبية ،2017م.

5- بكري، شيخ أمين، **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**، ط2، بيروت: دار الآفآق الجديدة، 1979م.

6- جوارنة، تهاني جوارنة، **التأصيل الإسلاميّ للأهداف المهاريّة**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، 2015م.

7- حمداني، دريد مجيد حميد، **الأسس والمفاهيم العلمية الحديثة في تعليم السباحة**، ط1، أربيل، مطبعة جامعة صلاح الدين، 2016م.

8- حميد، صالح بن عبد الله، **نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم**، مجموعة من المختصين تحت إشراف بن حميد، ط4، جدة: دار الوسيلة.

9- حمودة، منتصر سعيد وزميله، **انحراف الأحداث – دراسة فقهية في ضوء علم الإجرام والعقاب والشريعة الإسلامية** ، ط1، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي،1428 هـ-2007م.

10- الرحيلي، عبد الله، **الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها**، ط2، مطبعة سفير،2008م.

11- الزركلي، خير الدين بن محمود بن فارس (ت 1396هـ)، **الأعلام**، ط15، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.

12- زهراني، حامد عبد السلام ، **علم نفس النمو**، بيروت: دار العودة، 1981م.

13- سلام ، محمّد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي**، ط1، مصر: دار المعارف، 1971م.

14- سيد، عبد الباسط محمد، **المنهج النبوي في تربية الطفل**، ط1، مصر: مكتبة الفا، 2005م.

15- الصابوني، محمد علي،**صفوة التفاسير**، ط1، االقاهرة: دار الصابوني، 1997م.

16- عبده، محمد، (ت 1323هـ)، **شرح نهج البلاغة**، ط1، بيروت: المكتبة العصرية،1421هـ.

17- عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

18- عبد العظيم، سيد ، **الأتقياء الأخفياء**، ط1، مكة: دار طيبة الخضراء، 1999م.

19- عراج، عبير، **دراسة تقويميّة لدور إدارة رياض الأطفال في نشر الوعي البيئي لدى طفل الرّوضة،** رسالة ماجستير، كلية تشرين، قسم التربية، 2016م.

20- عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة،** ط1، القاهرة: عالم االكتب، 2008م.

21- علي، نيفين أحمد خليل، **وحدة مقترحة قائمة على التفكير التّأمّلي لتنمية بعض المفاهيم الفلسفية لدى أطفال الروضة،** مجلة كلية التربية، بور سعيد، العدد 22، 2017م.

22- فضلي، عبد الهادي، **أصول البحث،** ط1، بيروت: دار المؤرخ العربي،1992م.

23- قطب، سيد قطب، **في ظلال القرآن** ،ط17 ، القاهرة: دار الشروق، 1412هـ.

24- محبك، أحمد زياد ، **من الأسطورة إلى القصّة القصيرة** ، دراسة نقدية، دار علاء االدين، 2001م.

25- مرسي، محمد مرسي، **موسوعة القيم،** ط1، مصر: دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، 2013م.

26- مصطفى ، إبرهيم مصفى ، وزملاؤه، **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة. د.ت.

27- مرتضى، سلوى وزميلتها، **فاعلية طريقة حل المشكلات في إكساب أطفال الروضة بعض مهارات التفكير دراسة تجريبية في مدينة دمشق على أطفال الروضة من عمر (5-6) سنوات،** مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، العدد 3، 2011م.

28- محمد، صفاء أحمد، **فاعلية حقيبة تعليمية في تنمية مهارات حل المشكلات لدى أطفال الروضة،** مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس(ASAP)، المجلد الثالث، العدد الرابع، 2009/10م.

29- نعيمة، محمد، **النّضج الاجتماعي لطفل ما قبل المدرسة**، ط1، مصر، الاسكندرية: دار الثقافة العلمية، 2002م.

30- هيكل، محمد أحمد، **مهارات التعامل مع الناس**، ط1، مصر: مجموعة النيل العربية، 2206م.

ثالثًا: الخطب

1- عدنان، إبراهيم ، **نظرة جديدة على أسباب الكفر**، خطبة جمعة، فيينا، مسجد الشورى 2010/9/3م.

رابعًا: المواقع الالكترونية

1- **أهم فوائد رياضة ركوب الخيل**، موقع الكلية البريطانية العربية لدراسات الفروسية، مقال، https://tinyurl.com/yyja632s

2- **تأثير الكشّافة على صحّة العقل "طويل المدى"** ، bbc العربية ، 2016/11/11 ، مقال، http://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-37945717

3- حرز الله، سهير، **أهميّة لعبة البازل في التّطور الذّهني**، موقع سهير حرز الله، https://sites.google.com/site/sohairpuzzule/12365

4- خليل، صبري محمد ، **النّقد والنّقد الذّاتي فيمي، المفهوم القيمي الإسلامي**، موقع الرّسمي للدكتور صبري محمّد خليل، https://drsabrikhalil.wordpress.com/2013/11/11

5- دراسة يابانية، Horseback Riding Improves the Ability to Cause the **Appropriate Action (Go Reaction) and the Appropriate Self-control (No-Go Reaction) in Children**. Frontiers Public Health, original research article / 06 February 2017. https://doi.org/10.3389/fpubh.2017.00008

6- رويشد، محمّد، **نومة السطح عادة تتشبث بالحياة وتوصف بطاردة الأمراض** ، صحيفة الحياة،2013/8/30.http://www.alhayat.com/article/459088

7- آل سرور، نورة هادي ، **تقنية الواقع الإفتراضي في التّعليم، أفكار ومفاهيم**، مقالة، موقع (تعليم جديد).https://tinyurl.com/yy9ram8k

8- سيد، محمد شوفي، **الثّبات الانفعالي والطريق إلى السعادة الحقيقية**، مجلة الحوار المتمدن، العدد 5379، 2016/1/22. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=549344

9-عبد الرّازق، أميرة ، **هكذا تؤثّر ممارسة الرّياضة على الصّحة النّفسيّة**، موقع الكونسلتو، 2018/10/13، https://www.elconsolto.com/psychiatric/psychiatric-news/details/2018/10/13/1443608

10- عطيّة، حنان، **الفوائد التربوية للرحلة العائلية** ، موقع المنتدى الإسلامي العالمي للتربية، http://montdatarbawy.com/show/122639.2018/5/22

11- العودة، سلمان ، **تجربة التّخيّل القرآني**، موقع الدّكتور سلمان العودة،2015/6/19. http://www.islamtoday.net/salman/artshow-28-210816.htm

12- فتحي، مروة ، **للفروسيّة فوائد صحيّة ونفسيّة على طفلك**، موقع النّهار الإخباريّ،2017/7/10. www.annahar.com/article/615977

13- **القوس والسّهم**، موقع feet stamp،

http://www.feetstamp.com/ar/activity/kids-adults-archery-bow-and-arrow

14 - المصري، سحر، **ضرب الأبناء وسيلة بناء أم هدم**، موقع صيد الفوائد،

https://saaid.net/daeyat/sahar/45.htm

15- المطوع، جاسم ، **أسلوب ذكي لمعقبة الابناء**، صحيفة النّبأ اللكويتية، 2013/3/4

https://www.alanba.com.kw/kottab/jassem-almotawwea/364912/04-03-2013

16 -المنجد، محمّد صالح ، صفحة الشِيخ محمّد صالح المنجد الرّسميّةعلى facebook، المنشور بتاريخ: 2013/11/13. www.facebook.com/almunajjid/posts/10151984039775409

17- **لأنه حصل على 99%... طفل يعاقب نفسه بطريقة بشعة**، صحيفة دنيا الوطن،2013/3/2.

https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2014/03/02/502488.html

18- نمر، مصطفى، **تحفيز العاملين في ضوء نظم معدّلات الأداء**، محاضرة مكتوبة، جامعة المنيا، مركز التّدريب. https://tinyurl.com/y2te7qnk

19- اليونيسيف، المادة 1،

https://www.unicef.org/arabic/crc/files/UNICEF_Big_Poster.pdf

فهرس المحتويات

إقرار.....أ

الشكر والعرفان.....ب

الملخص..... ج

المقدمــة 1

التمهيـد : تفسـير التأمـل والتفكـر والتّـدبّر.....5

المطلب الأول: التّفسير اللّغوي لكل من؛ التّأمّل والتّفكّر والتدبّر.....6

المطلب الثاني: التّفسير القرآني لكل من؛ التّأمّل والتّفكّر والتدبّر.....11

المطلب الثّالث: التّأمّل والتّفكّر والتدبّر في السّنّة النّبويّة.....29

المطلب الرابع: تعريفات اخرى.....33

الفصـل الأول : أهميـة التفكّر والتدبّر والتأمـل.....38

المطلب الأول: علـى المستوى العقائدي 39

المطلـب الثـاني: علــى المسـتوى الفكـري.....45

المطلب الثالث: على المستوى السلوكي..... 50

الفصل الثاني : وسائل غرس قيم التفكّر والتّأمّل والتدبّر في الطّفل.....58

المطلب الأول: ترسيم العلاقات بين الطّفل والطّبيعة.....59

المطلب الثاني: الوسائل الماديّة والمعنويّة التي يجدر بالمربّي اتباعها لإكساب الطّفل مهارات التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر.....68

الفصل الثّالث: تفعيل نظام الإصلاح الذّاتيّ لدى الأطفال بعد تزويدهم بمهارات التّفكّر والتّأمّل والتّدبّر.....100

المطلب الأول: النّقد الذّاتيّ.....103

المطلب الثّاني: التّحفيز الذّاتيّ.....107

المطلب الثّالث: العقاب الذّاتيّ.....109

المطلب الرّابع: التّقييم الذّاتيّ.....111

المطلب الخامس: التّنبّؤ الذّاتيّ.....113

المطلب الرّابع: التّرقية الذّاتيّة.....114

الخلاصة.....117

الخاتمة.....118

المصادر والمراجع.....120